الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA
faculté : des lettres et des langues
Département de littérature et de la langue arabes

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــر

(تخصص تحليل الخطاب)

تلقي تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث

كتاب تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص لمحمد مفتاح أنموذجا

مقدمة من طرف الطالب:

بلال حمودة

تاريخ المناقشة : **5** جوان **2014**

العياشي عمير	رئيسا	أستاذ محاضر ب	جامعة	8 ماي 1945 قالمة
وردة معلم	مقررا	أستاذة محاضرة أ	جامعة	8 ماي 1945 قالمة
عبد الحليم مخالفة	ممتحنا	أستاذ مساعد أ	جامعة	8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2013/ 2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique

UNIVERSITE 08 MAI 1945-GUELMA

faculté : des lettres et des langues

Département de littérature et de la langue arabes

1945 8
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة

الماستـــــــــــر

(تخصص تحليل الخطاب)

تلقي تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث

كتاب تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص لمحمد مفتاح أنموذجا

مقدمة من طرف الطالب:

بلال حمودة

تاريخ المناقشة : **5** جوان **2014**

العياشي عمير	رئيسا	أستاذ محاضر ب	جامعة	8 ماي 1945 قالمة
وردة معلم	مقررا	أستاذة محاضرة أ	جامعة	8 ماي 1945 قالمة
عبد الحليم مخالفة	ممتحنا	أستاذ مساعد أ	جامعة	8 ماي 1945 قالمة

السنة الجامعية: 2013/ 2014م

إهداء..

الحمد لله الذي أنار لي درب العلم والمعرفة وأعانني على إتمام هذا العمل الذي أتمنى أن يكون مرجعا يستفاد منه.

أهدي عملي هذا إلى الشمعة التي أحرقت نفسها لتضيء طريقي وضحت بالغالي والنفيس.. والدتي الغالية.

وإلى الذي لا ينساه القلب ولا يغيب عن الفكر.. والدي الكريم.

وإلى سندي.. جدتي حفظها الله وأطال في عمرها.

وإلى من لا أتخيل الحياة بدونهم.. إخوتي أحبتي.

وإلى كل الأهل والأقارب والأحبة.

وإلى أصدقائي ورفاق دربي وكل من عرفني فأحبني.

إلى طلبة وأساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة 8 ماي 1945 قالمة

وإلى كل أمة محمد ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ أجمعين.

الباحث

..

لابد لي وأنا أخطو هذه الخطوات من وقفة لاسترجاع الزمن الجميل الذي قضيته في رحاب الجامعة مع أساتذتي الكرام الذين قدموا لي الكثير، وبذلوا معي جهودا كبيرة في تكويني، لذا وجب علي قبل أن أمضي قدما ذكر أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى الذين حملوا أقدس رسالة في الحياة اليوم، ومهدوا لي طريق العلم والمعرفة .. إلى كل أساتذتي الكرام الأفاضل..

وأخص بالتقدير والشكر أستاذتي الفاضلة الدكتورة **وردة معلم** التي أشرفت على هذا البحث، وأنارت لي دروبا جديدة لم أكن أعرفها من قبل.. كل التقدير والاحترام لك، وجزاك الله عني كل خير.

مقدمة

شغلت التعالقات الشّديدة بين المناهج الأدبية المعاصرة والإرث اللساني والتقاليد النقدية السابقة وقتا وحيّزا من النّقاش والدراسة، خصوصا في الوجهة الجديدة التي سيأخذها كل حقل من هذه الحقول المعرفية مستقبلا، وعن مدى جدوى التجديد وإعادة النظر في آلياتها باستمرار، وحتمية دفع الجمود الفكري وفتح آفاق واعدة للتفكير الإنساني في مجالات الأدب المتنوعة.

وبعدما بدأت المناهج الأدبية الحديثة تشيع في العالم، وتتطور وتغتني كل يوم، وبعدما صار للمثاقفة دور مهم في إطار العولمة، لم يبق النقد العربي الحديث في معزل عن هذه الحركية الأدبية، وركب موجة الانفتاح والتأثر بالجهود الغربية من خلال الجهود الكبيرة التي بذلها الباحثون العرب، خصوصا بعد سنوات السبعينات، أين كثفت المساعي وتبلورت من أجل إيجاد هوية للنقد العربي ومقاومة الذوبان في نقد الآخر ، و تجاوز الاكتفاء بالاستهلاك والاجترار، وحتى لا تنشأ قطيعة مع التراث اللساني والأدبي العربي الممتد لقرون عديدة تفوق رصيد الدراسات الأوروبية.

والحق، أن بعض الباحثين العرب لم ينكروا وجود أرضية صالحة لبناء نظرية أدبية ونقدية في ظل توفر كل الوسائل الثقافية والمعرفية في الحضارة العربية الإسلامية، كذلك وجود مناخ علمي قديم يناظر ذلك الذي وصل إليه النقاد في أوروبا، فسعوا إلى التوفيق بين ما خلفه الأسلاف ، و ما حققه الغربيون في أبحاثهم على الرغم من المشقة الكبيرة في الترجمة والجمع بين ثقافات مختلفة.

فمن الفنون الغربية التي اشتغل بها النقاد العرب حديثا تحليل الخطاب، وأولوه عناية فائقة لأنهم بحثوا طويلا حول مواضيعه دون أن يتوج ذلك بالوصول الحقيقي له، فكان مثل الحلقة المفقودة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية التي بُحث عنها طويلا، فكيف تلقى النقد العربي الحديث هذه المعرفة الجديدة؟ وهل نقل على حاله أم كان للنقاد العرب لمستهم الخاصة عليه وآراؤهم ونظراتهم المصبوغة بالثقافة العربية؟ كل هذا يمكن الإجابة عنه من خلال نماذج عربية قدمت دراسات في الميدان.

وبغية الوقوف على جهود الدارسين العرب في الميادين الأدبية المختلفة، ورصد كيفية تلقي النقد العربي الحديث لمعارف نقدية غربية خالصة مثل تحليل الخطاب استحضرت نموذجا عربيا كان له صدى لافت للنظر، لم حققه من مكاسب ونجاحات، يتمثل في كتاب " تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص "، ل لباحث المغربي (محمد مفتاح)، واخترته من بين الدراسات والبحوث العديدة التي أصدرها هذا الباحث ل لتحليل والكشف عن هذا التلقي، فكان عنوان المذكرة: (**تلقي تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث: كتاب " تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص " لمحمد مفتاح نموذجا**).

والهدف من هذه الدراسة إعطاء صورة تقريبية لواقع فن جديد نقله العرب من الدراسات الأدبية والنقدية الغربية، والسعي من خلال هذه الدراسة المتواضعة إلى تحديد الموقع الذي يحتله محمد مفتاح في تحليل الخطاب، وإبراز ميزاته وخصائصه عن أقرانه من الباحثين في ذات المجال أمثال: عبد الملك مرتاض وعبد الله محمد الغذامي وصلاح فضل ويمنى العيد وسعيد يقطين (...) وإعطاء مثل هذه الجهود قيمتها؛ باحتضانها وتشجيعها من خلال الدراسة والتكميل بدل نقضها وتهميشها كما هو مشهور في الوطن العربي، حيث لا يستفيد الباحث ممن سبقه ويبني عملا على نظرة أحادية من أول الطريق، عكس ما هو موجود في الغرب حيث تتضافر جهود السابق مع اللاحق في ظل السيرورة المنطقية للعلوم، فتتطور المناهج والمصطلحات عندهم وتواكب المستجدات والحاجات الإنسانية المختلفة.

كذلك تبيان فعالية المنهج التكاملي الذي انتهجه مفتاح وغيره من عدمها، وتأكيد أو نفي أحقيته ونجاعته في تصدر كوكبة المناهج النقدية.

ولأن الجهد والوقت لا يسعان لدراسة كل أعماله التي استغرقته زهاء أربعين سنة من البحث والتنقيب، ارتأيت الاكتفاء بعمل واحد للتدليل على الحد الذي بلغه تحليل الخطاب، وكيفية تلقيه، وهو كتابه " تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص "، وكان وراء هذا الاختيار أسباب لعل أبرزها:

1 ــ استهدفت هذا الأثر بالدراسة من بين عديد آثاره، رغبة مني في تبيان العقبات التي لا زالت تعترض ميدان البحث في تحليل الخطاب، كالاضطراب في المنهج، وإشكالية المصطلح، وطرق وآليات التحليل والتأويل، ودور محمد مفتاح في تخطي هذه العقبات.

2 ــ النزعة الاستمرارية لمشروعه، فهذا الكتاب هو الحلقة الثانية فيه، ضمّنه جملة من الرؤى الاجتهادية الواعدة التي لا يمكن أن نتجاهلها، وإتباعه كل دراسة بأخرى تكملها وتتوسع فيها، وتتطرق بالدراسة إلى ما لم يتم الحديث عنه في الآثار السابقة له، وهذه الآثار من الأهمية بمكان حيث تستطيع أن تحتضنها بحوث ودراسات عديدة أكبر حجما من هذه الدراسة التي نحن بصددها.

3 ــ لوحظ على جهوده إضافات عديدة أثرى بها الساحة النقدية العربية، كالمصطلحات وكيفية القراءة والتعامل مع المصادر والمقارنة والجمع بين الآراء ونقدها منهجيا، وتقريبها للقارئ العربي بالتبسيط والتمثيل، ما جعل ذلك حافزا كبيرا لقبول مشروعه وتطويره وتطبيقه على أكثر من مدونة من قبل عديد الباحثين.

وليكون بحثنا هذا منهجيا يصل بنا إلى الغايات السابقة جعلت هيكلته مكونة من مقدمة ومدخل ثم فصلين وخاتمة؛ تحت كل فصل عناصر، وكل عنصر يعالج فكرة في نقاط معينة، ففي المدخل الذي جعلت له عنوان واقع تحليل الخطاب الشعري في القرن العشرين، تناولت مفهوم تحليل الخطاب وأبرز اتجاهاته، وواقع تحليل الخطاب الشعري عند الغربيين والعرب بالمناهج ما قبل البنوية، ثم بمناهج ما بعد الحداثة.

أما الفصل الأول فجعلت عنوانه: بحث في المنهج عند محمد مفتاح في كتاب تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص، و تعرضت فيه لقضية المنهج وإشكالياته والتعريف بالمنهج التكاملي الذي اعتمده الباحث، والمركب من ثلاث نظريات مختلفة، وخصائص وميزات هذا المنهج، وفصلت القول في أركانه التي تشكل منها، وأسباب اختياره له ذا المنهج دون سواه ثم قدمت نقدا وتقييما لهذا المنهج في الأخير.

وأما في الفصل الثاني فجعلت عنوانه: بحث في المصطلح عند محمد مفتاح في كتاب تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص، و تعرضت فيه بالدراسة لقضية

المصطلح وإشكالياته في النقد العربي المعاصر، وعرض ت لجهود الباحث، وموقعه منها، فحاولت دراسة تعامله مع مفاهيم المصطلحات بالتوسيع والاختزال والتتميم في عنصر ، وجعلت عنصرا آخر لدراسة صياغته لشكل المصطلح وتوليده وترجمته، ثم نقده وتقييمه في دراسته للمصطلح كذلك.

وقد اعتمدت في معالجة هذا الأثر والوصول إلى هذه الأهداف على المنهج الوصفي النقدي، و السبب في الاعتماد على هذا المنهج دون سواه يكمن في أن المنهج الوصفي ــ كما هو معروف ــ يهدف إلى اكتشاف ووصف الظواهر وصفا دقيقا، وتحديد خصائصها تحديدا كميا وكيفيا، ويكشف كذلك عن الحالة السابقة للعينة المدروسة وكيف وصلت إلى ما وصلت إليه، كما يحاول هذا المنهج التنبؤ بما ستكون عليه العينات والظواهر في المستقبل كذلك.

والهدف من توظيف هذا المنهج في هذه الدراسة عموما يتجلى في:

1ــ محاولة عرض صورة دقيقة لملامح تلقي محمد مفتاح لتحليل الخطاب وتبيان الخطوط العريضة لجهوده حتى يتيسر إدراك وفهم بقية أعماله وأعمال غيره فهما دقيقا بتحديد العناصر التي يتكون منها وارتباط بعضها ببعض.

2 ــ كشف الخلفيات النظرية لموضوعات المشروع وحاضره وآفاقه المستقبلية.

3 ــ جمع وتبيان معلومات وبيانات عن المشروع النقدي له من خلال الكتاب المذكور، ودراستها من أجل استخلاص دلالاتها، سعيا لوضع تعميمات عنه.

ولا أزعم أن دراستي هذه هي الأولى في بابها التي تناولت كتاب محمد مفتاح هذا بالدراسة والنقد بل سبقتني إليه دراسات أخرى مثل ما نجده في كتاب الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر لعصام خلف كامل، ونقد الشعر وفي كتاب تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، لمحمد عزام، وكتاب الدرس السيميائي المغاربي :

حاولت من خلال هذه الدراسة تجاوز السطحية التي اتسمت بها تلك الدراسات، وتعميق البحث في منهج هذا الناقد؛ والإشارة إلى اعتماده على المنهج التكاملي الذي لم تسمّه تلك الدراسات و لم تشر إليه، ولا دافعت عنه، بل منها ما عدّه مجرّد تلفيق مناف للعلمية، إضافة إلى دراستي لقضية المصطلحات عنده بشيء من التدقيق وفق مستويين هما: (المفهوم، والصياغة)، مثمّنا ما يستحق الإشادة والتقدير، وناقدا ما ظهر لي أنه يستوجب التنبيه عليه مثل المخالفات العلمية الظاهرة، أو لمخالفة التنظير عن التطبيق وعدم التزامه بما قرره.

واستعنت لتحقيق هذه المرامي وترجمة هذه الأهداف بمصادر ومراجع متنوعة لعل أهمها: كتاب " النص من القراءة إلى التنظير" وكتاب " دينامية النص " لمحمد مفتاح نفسه، وعلى "معجم تحليل الخطاب" لباتريك شارودو ودومينيك مانغونو، والدراسات التي اهتمت بالسيميائية والتداولية والشعرية.

و لم يكن تبييض هذه الصفحات هينا، بل واجهتني عقبات عديدة، منها قلة المصادر التي تناولت هذا الكتاب بالدراسة النقدية الجادة؛ فكثير من الدراسات والمراجع التي وقفت عليها تناولت الكتاب بالوصف والتلخيص فقط، وبعضهم مر عليه مرور الكرام و لم يوفه حقه، وواجهت ضيق الوقت الذي لم يسمح بالعودة لكل خلفيات ومصادر محمد مفتاح في هذه الدراسة.

وأتمنى أن يكون هذا العمل متسما بالجدية اللازمة، موفقا في تحقيق أهدافه المسطرة له، ومعينا لكل باحث في ميدان تحليل الخطاب على فهم التلقي العربي له، شاملا ومنهجيا، والكمال لله رب العالمين.

مدخل

واقع تحليل الخطاب الشعري في القرن العشرين

1 ــ تمهيد:

تحليل الخطاب فن من الفنون المعاصرة التي تثبت أهميتها يوما بعد يوم، استطاع أن يصنع لنفسه مكانة مرموقة في الساحة النقدية والأدبية الحديثة في وقت قصير، وعلى الرغم من نشأته الحديثة في منتصف القرن العشرين؛ إلا أنه شهد إقبالا كبيرا للباحثين عليه قلما يشهده علم آخر، انكبوا عليه تأصيلا وتفصيلا، مستثمرين في ذلك الجهود اللسانية والأدبية السابقة له، محاولين من خلالها الوصول به إلى العلمية، وإثبات وجهات نظرهم ورؤاهم فيه، وفي الوقت عينه انتقاد الجهود الأخرى في منهجها ومصطلحاتها.

ومثل بقية العلوم، فتحليل الخطاب له خلفياته الفلسفية والإبستيمية، فكثير من قضاياه تقوم على عاتق علوم مختلفة وم صادر متنوعة، ما سبب له اتساعا في أفقه المعرفي، فهو يشتغل على عديد القضايا والمسائل التي قد نراها في علوم أخرى، وذلك تبعا لتلك الخلفيات، وفي ظل المناهج والطرائق التي ابتكرها في المعالجة والدراسة، وه ذه المصادر كذلك تلقي بظلالها عليه ، إذ أدت إلى ظهور اتجاهات وأقطاب متعددة تتجاذبه، الأمر الذي أفرز العديد من المشاكل ، منها تذبذب موضوع والتباين في التنظير والتطبيق، نظرا لاختلاف كل اتجاه عن الآخر، فكل تيار له مفهومه الخاص لمصطلح الخطاب من جهة، وله منهجه الخاص في المعالجة ومصطلحاته الخاصة من جهة ثانية.. وأهداف ومراميه من جهة ثالثة.

كما تحكمه ــ مثل غيره من العلوم ــ دينامية مستمرة تجعل عديد المفاهيم والإجراءات والطرائق فيه تستجدّ وتتطور سنويا، فتحليل الخطاب يجدد ثوبه ولا يجمد على آليات معينة، وهذه الخصيصة عامل إيجابي من جهة لأنها تغطي العيوب التي وجدت في الدراسات الأولى، وعامل سلبي يكرس مشكلة عدم الاستقرار من جهة أخرى.

ولطالما عمل المشتغلون في هذا الميدان في الغرب بجد على إيجاد الحلول الناجعة التي تحد من التذبذب الذي يشهده هذا العلم في مفهوم الخطاب والمنهج والمصطلح وغيرها، وهما مسألتان جوهريتان في أي علم كما هو معروف، والقصد من تلك الجهود كلها هو الوصول إلى منهجية مثلى يحتذي بها الدارس في تحليل أي خطاب مهما كان نوعه، تحليلا شاملا ودقيقا.

يصعب الوقوف على تعريف ثابت لتحليل الخطاب، كما تصعب بلورة واحد له، وكل ما يقف عنده الباحث تعريفات مشتتة مختلفة يتفرد بها كل باحث، وكل تعريف منها هو خلاصة ما وصل إليه بعد جهد جهيد، لذا يجب الحديث عن هذا الفن المعاصر والتعريف به، فما هو تحليل الخطاب؟

2 ــ مفهوم تحليل الخطاب:

إنه من الصعب جدا على أي باحث استعراض تاريخ دقيق لتحليل الخطاب، لأنه فن غير متأتٍّ عن عمل تأسيسي خالص ومستقل، بل هو ناتج عن تضافر تيارات معرفية حديثة من ناحية؛ خاصة اللسانيات النصية، وعلم إثنولوجية التواصل، والتحليل التحادثي، والتيارات التداولية، ونظريات التلفظ (...) والجهود الفكرية والأدبية التي قدمها م يشال فوكو وميخائيل باختين (...)، وناتج كذلك عن تجديد لممارسات قديمة جدا في دراسات النصوص: مثل البلاغة، وفقه اللغة (الفيلولوجيا)، والهيرمونيطيقا (التأويل).. . من ناحية ثانية. وهو انطلاقا من هذا رؤية جديدة لعلمنة تحليل مختلف الخطابات في ظل ما وصلت إليه اللسانيات وعلومها، وعلوم الاتصال، والفلسفة، والمنطق.

فتحليل الخطاب « **فن حديث العهد نسبيا تسند إليه أشد التعريفات اختلافا، هي تحديدات شديدة الاتساع عندما يعتبر مكافئا لدراسة الخطاب، أو تتسم بالحصر**

عندما نخصص هذه التسمية في نطاق التمييز بين فنون مختلفة تتخذ من الخطاب موضوعا لها لأحد هذه الفنون ». [1]

ويعرف كذلك على أنه « **فرع من علم اللغة مهمته تعيين القواعد التي ترعى إنتاج سلسلة الجمل المبينة. وهو يولي اليوم عنايته لدراسة علاقة المتكلم بإنتاج الخطاب (النطق)، وعلاقة الخطاب بالجماعة التي يتوجه إليها (اللسانية الاجتماعية)».**[2]

وما يفهم من هذين التعريفين تذبذب في مفهومه وصعوبة بلورة تعريف له، ومردّ ذلك عدم ضبط مفهوم ثابت لكلمة "الخطاب"، فالقارئ يجد عددا كبيرا من التعريفات المتباينة لعلم واحد! إذ كل بلحث يدعي أن تعريفه جامع مانع هو حصيلة عمل مؤسس، ومن أبرز تلك التعريفات ذاك الذي جاء به "دومينيك مانغونو " " d. maingueneau"، فقد صاغ تعريفا يغطي أغلبها لأنه جمعها واستخلص كنهها، ثم خرج منها بما رآه يمثل المقصود الحقيقي لتحليل الخطاب، فهو يرى « **أن تحليل الخطاب يطمح إلى البحث عن منهج يقارب محتوى النص عبر قراءة موضوعية، تُسْتَثمَر نتائجها، وهو ما يتطلب وجود مستند تُميَّز فيه طبيعة النصوص منذ البداية، للوقوف على الثابت والمتحول فيها، ويفصل المتشابه منها، ويقارنه بغيره. غير أن تحليل المحتوى لا يحل إشكالية بنيوية النص، لأن الغاية من تحليل الخطاب ليس البحث عن كيفية**

[1] باتريك شارودو ودومينيك مانغونو، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، والمركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008، ص 43.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ودار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م، ص 44.

اشتغال الخطاب، بقدر ما هي استثمار مفاهيم (ميتا ــ لسانية) لاستخلاص ما يميز خصوصية مضمون مدونة عند مقارنتها بمدونات أخرى ».[1]

هذا التذبذب خلق توجهات عديدة، ولذلك رأيت أن تحليل الخطاب في أول أمره قد توجه توجهات مختلفة أهمها:

أ ــ اتجاه لسانيات النص:

وهو أهم هذه التوجهات ، إذ كثيرا ما يلتبس مفهوم تحليل الخطاب على الباحثين مع مفهوم لسانيات النص فيعدونهما فنا واحدا، نظرا لتداخل مفهوم النص مع مفهوم الخطاب، فكل من النص والخطاب عبارة عن وحدات لغوية أكبر من الجملة، كذلك لربطهما نفس العلاقات مع علوم عديدة، وهذا ما كرس هذا الوهم دهرا من الزمن .[2]

ويزداد الأمر تداخلا حين يصبح لهما حافز مشترك، فكثرة هم الذين يعتقدون أن « **لتحليل الخطاب حافزا مزدوجا: فالجمل تحتوي على عناصر لا يمكن تأويلها في مستوى الجملة نفسها ولا ينحصر تأويل خطاب ما في مجموع تأويلات الجمل التي يتكون منها** ».[3]

ولهذا نجد بعض الباحثين على غرار زاليج هاريس (z. harris) يطلق تحليل الخطاب على ما يسمى أيضا "باللسانيات النصية"، هذا هو شأن م. شارول و ب.

---

[1] عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2006م، دط، ص 80ــ83.

[2] ينظر:مدخل إلى علم اللغة النصي، تأليف: فولفغانغ هاينه من و ديتر فيهفيغر، ترجمة فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، دط، 1419هـ، 1999م، لإدراك التداخل الكبير بين لسانيات النص وتحليل الخطاب والحوافز المشتركة بينهما.

[3] معجم تحليل الخطاب، ص 44.

كومبات "m.charolles b.combettes" في كتابهما " مساهمة من أجل تاريخ جديد لتحليل الخطاب " (1999)، و شأن كل من آن رابول وجاك موشلار " a. reboul et j. moechler" في كتابهما " التداولية اليوم: علم جديد في التواصل" (1998). وهو الأمر الذي كان له أثر في النقد العربي ـــ حتى اليوم ـــ فبعض الباحثين العرب يتوجهون بتحليل الخطاب توجه لسانيات النص، نظرا لما سبق.

وبتدعم المجالين مع الزمن وبعد فض الاشتباك بين مصطلحي النص والخطاب [1]، وتحدد مجال دراسة كل منهما ومراميها، تمايز تحليل الخطاب عن لسانيات النص شيئا فشيئا، واستقل عنها حتى صار إلى ما هو عليه اليوم.

ب ـــ اتجاه السرديات: وهو اتجاه عكف على تحليل الخطابات السردية المختلفة، وتجميع الجهود والدراسات المندرجة تحت هذا المبحث، ورائده هو الباحث الفرنسي ألجيرداس جوليان غريماس.

ج ـــ الاتجاه العام لتحليل الخطاب: وهو يبحث في التقنيات والآليات العامة لتحليل مختلف الخطابات البشرية، وذلك ل تتعدد وتتنوع مجالات الحياة، إذ لكل منها خطابها الخاص، فإننا بذلك إزاء أنواع عديدة من الخطابات، فنجد الخطاب الأدبي، والسياسي، والديني، والفلسفي، والإعلامي، والقانوني، والتربوي... وتحت كل نوع من هذه الأنواع أجناس فرعية؛ فتحت الخطاب الأدبي مثلا نجد: الخطاب الروائي، والخطاب الشعري، والخطاب المسرحي، والخطاب الأسطوري... وهو أمر يؤدي حتما إلى تنوع آليات الدراسة، واستدعاء كل نوع منها تقنية خاصة في التحليل، ما يجعل هذا الميدان دائما واسعا وخصبا ومغريا، والخطاب الشعري من أبرزها في كل الثقافات.

[1] تنظر هذه المسألة في كتاب: التشابه والاختلاف: نحو منهاجية شمولية، تأليف محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م، في مبحث تحديد النص والخطاب، ص 34،35 .

هذه الاتجاهات العامة التي تجاذبت تحليل الخطاب؛ ويمكن لأي باحث استنتاجها من خلال قراءة شاملة في مختلف الجهود، وبإمكانه كذلك استنتاج اتجاهات فرعية لها.

3 ــ واقع تحليل الخطاب الشعري في النقد الغربي الحديث:

تنازعت المنهجيات والاتجاهات النقدية المختلفة في القرن العشرين لاعتلاء عرش تحليل الخطابات الأدبية ؛ خاصة الشعرية منها ذات الخصائص اللسانية والإيقاعية الراقية واللغة المشحونة التي تتميز بها عن غيرها، ما يغري القارئ العربي ويستفزه ويثيره، فيسعى جاهدا لتفهمه وإدراكه، متبعا طريقة خاصة، ومنهجا معينا، لإدراك هذه المرامي وتحقيقها، بادعاء كل منها أنها من يصلح ويكون أنموذجا لتفسير الإبداع والإحاطة به، كالاتجاه النفسي الذي أسسه عالم النفس النمساوي "سيغموند فرويد" "s. freud" والذي يعد « **وسيلة جديدة لمعرفة النفس الإنسانية والتغلغل في أغوارها السحيقة** (...) **وما تنطوي عليه من غرائز وعواطف ومكنونات ومكبوتات تؤثر شعوريا أو لاشعوريا في تصرفات الإنسان وسلوكه في الحياة شعوريا** ». [1] وذلك بالبحث عن الأمراض النفسية مثل العقد الجنسية (الليبيدو) والنرجسية والعصاب(...).

وتعد الناقدة الأمريكية " مود بودكين " "m. podkin" خير من استغل مقولات التحليل النفسي في دراسة الخطابات الشعرية في كتابها " النماذج العليا في الشعر: دراسات نفسية للخيال " (archetypal patterns in poetry) الذي نشرته في أكسفورد سنة 1934 م متأثرة فيه بآراء ومحاضرات كارل يونغ (yong)، وقد رصدت فيه (النماذج العليا) وهي « **رواسب نفسية لتجارب ابتدائية لاشعورية لا تحصى،**

[1] يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة،مصر، دط، 1997م، ص 47.

شارك فيها الأسلاف في عصور بدائية، وقد ورثت في أنسجة الدماغ ».[1] وذلك في شعر كل من "صامويل تايلر كولريدج" "s.t. coleridge" والشاعر الإنجليزي "جون ملتن" "j. milton" و "دانتي أليغري " " a. dante" وطائفة من الأشعار النسوية والمعاصرة.

والاتجاه التاريخي الذي دعا فيه هيبوليت تين (h. taine) إلى « **تطبيق مناهج التاريخ الطبيعي وما يقرره علماؤه من تأثير الجنس والزمان والمكان في الكائن الحي، فقد ذهب إلى أن هذه العوامل هي نفسها المؤثرة في الأدب** ».[2]

والاتجاه الاجتماعي ـــ خصوصا تحليلات الماركسية ـــ التي تكون « **أفضل ما تكون عندما تكشف عن المعاني الاجتماعية والأيديولوجية الكامنة في العمل الأدبي** ».[3]

ويحتوي كتاب "جان بيير ريتشارد" " jean pierre richard" المعنون بـــ" إحدى عشر دراسة حول الشعر الحديث " شذرات وحديثا عن هذه الاتجاهات وغيرها التي تجاذبت الحديث عن قضايا الشعر وتحليله.

لم يحظ الخطاب الشعري بالتطلعات الكافية، وكل ما كان سائدا قبل ظهور المناهج الحداثية هو دراسات سطحية وسياقية لا تعكس الموضوعية، ناهيك عن عدم الاستقرار والقصور الذي ميّز آليات التحليل.

---

[1] ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ومؤسسة فرانكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت/ القاهرة/ نيويورك، الجزء الأول، ط1، 1958م، ص 245، 246.

[2] يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، ص 36.

[3] رونيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة ، عدد (110)، فبراير 1987م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 393.

4 ــ واقع تحليل الخطاب الشعري في النقد العربي الحديث:

على الرغم من أن جذور الشعر ضاربة في عمق التاريخ إلا أن مصطلح « **الخطاب الشعري من المصطلحات الحديثة نسبيا، التي أضيفت إلى معجم المصطلحات النقدية**»[1]، ونال هذا الخطاب حظا وافرا من اهتمام الدارسين في النقد العربي المعاصر من بين بقية الخطابات؛ ويرجع هذا الاهتمام الكبير بالخطاب الشعري إلى أسباب تاريخية واجتماعية، إذ لطالما عده العرب ديوانهم الذي خلدهم ، وخلد تاريخهم ، وعاداتهم وتقاليدهم، بأحسن صياغة وعبارة؛ وأرقى لغة.

كان لحركة المثاقفة بين الشعوب؛ والرحلات العلمية إلى أوروبا والحركة الاستشراقية في العالم العربي موازاةً مع ذلك، تأثير كبير في النقد العربي، إذ سرعان ما انتقل تحليل الخطاب إلى الساحة النقدية العربية، ولم تبق هذه المعرفة مقصورة على الغرب دون غيرهم، وتلقاه النقاد العرب على اختلاف توجهاتهم بصدر رحب إدراكا منهم لأهميته، فعملوا على ترجمة جهود الأعلام الغربيين في هذا الفن متمثلة في الكتب والمقالات والندوات و نقلها إلى العربية، و نقل حتى خلفياته اللسانية والأدبية المتمثلة في أعمال حلقات العواصم الأوروبية المختلفة مثل لسانيات سوسير وما تلاها من جهود مثل حلقة براغ والجهود البنوية، وأعمال الشكلانيين الروس، تم تعريبها كلها ، والتعرض لها بالدراسة والمناقشة ، وإدخالها في المقررات الجامعية، بل تعدى الأمر ذلك إلى مواكبة مستجداته هناك في ظل وجود باحثين عرب يقطنون تلك البلدان ويتقنون لغاتها المختلفة، وفي ظل الرحلات العلمية المستمرة للباحثين العرب لأوروبا وأمريكا.

[1] محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش: دراسة أسلوبية، مطبعة المقداد، غزة، فلسطين، ط1، 1420هـ، 2000م، ص 28.

فظهرت جهود عربية معتبرة، منها ما كان صدى وتقليدا للغرب وحسب، يجتر مقولاتهم ولا يبدي لها نقدا ، ولا يراعي الخصوصيات الثقافية العربية، ومنها ما استحال مشاريع اجتهادية، تقارن بين تلك الغربية نفسها ، وتنتقدها، ثم تستدرك عليها بما وفرته الثقافة العربية من مقولات تراثية في العلوم اللغوية والبلاغية..

وعموما، لا يختلف الحال في الوطن العربي عنه في الغرب تجاه المشاكل التي يعاني منها تحليل الخطاب الشعري، فالتخبط الذي يعرفه هناك كان له أثره هنا، سواء في مفهوم الخطاب الذي وجد مقابلات عربية عديدة جدا عند محاولة ترجمته، أو في الاتجاهات التي سلكتها الدراسات، وزعمت كل واحدة منها أن بيدها المنهج الأمثل لتحليل الخطابات المختلفة، فمنها ما اتجه وجهة لسانيات النص، ومنها ما اتخذ من الأسلوبية منهجا، ومنها ما طبق آراء السيميائية، إلى غير ذلك من التوجهات...

لكن الشيء الذي يذكر هنا أن بعض الباحثين الذين تمرسوا في هذه المعرفة وفهموها جيدا وامتلكوا رصيدا ثقافيا عربيا معتبرا لم يقفوا عاجزين أمام هذه العقبات، بل عملوا جاهدين على تخطيها، ولذلك نجد جهودا عديدة قد بذلت وقدمت لتجاوز مختلف العقبات التي يعاني منها هذا العلم، سواء في المنهج أو المصطلح؛ لاختلاف الأدب العربي عن غيره من الآداب، إذ المسلم به أن لكل أدب خصوصياته الثقافية التي تميزه عن غيره، وبالتالي فإن بعض ما يطبق على الآداب الغربية من مناهج قد لا يصلح تطبيقه على الأدب العربي وأجناسه الإبداعية، ولا يلبي طموحاته وأهدافه، وهو أمر تفطن له جملة من الباحثين والنقاد العرب بالممارسة، وتطبيقهم لتلك المناهج الغربية على النصوص الأدبية العربية؛ التراثية منها والمعاصرة، وهذا ما نراه في كثير من البحوث والدراسات التي تناولت هذه المشاكل بالتحليل والمناقشة.

وكما هو الحال في الغرب، فقد تسابقت المناهج ـــ خصوصا السياقية منها ـــ في تحليل الخطاب الشعري العربي؛ فالمناهج التي نراها هناك تبناها نقادنا العرب، فنجد الاتجاه النفسي، ومن رواد هذا الاتجاه في الممارسة النقدية العربية: عباس محمود العقاد (1889ـــ 1964)، في دراسته لشخصيات: الشاعر أبي نواس، وجميل بثينة، وشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، وابن الرومي حياته من شعره، وأبي العلاء المعري ، وكل واحد من هؤلاء أفرد له كتابا، ورفيق دربه إبراهيم عبد القادر المازني (1890ـــ 1949) في " الديوان".

ومحمد النويهي (1917ـــ 1980) في دراسته المعنونة " نفسية أبي نواس" الذي أصدره سنة (1953) " **وهذا الكتاب محاولة جديدة للاستفادة من تحليل نفسية الشاعر في فهم شعره. رأى المؤلف في هذا الكتاب أن أبا نواس كان شاذا من الناحية الجنسية، وأن سبب هذا الشذوذ هو عقيدته النفسانية التي تكونت في عقله الباطن حين تزوجت أمه بعد أبيه، وأن هذا الشذوذ يفسر عجزه عن تحقيق رغبته الجنسية مع النساء وميله إلى الغلمان، ثم هو يتبين آثار ذلك في شعره**".[1]

فهؤلاء الأعلام ـــ وغيرهم ـــ ر كزوا على دراسة شخصية المبدع (الاتجاه البيوغرافي أو سيكولوجية المبدع)؛ بمعنى البحث في دلالة العمل الإبداعي على نفسية صاحبه، وبعضهم ركز على دراسة العملية الإبداعية في حد ذاتها وهي ما يدعى بـــ (سيكولوجية المبدع) أي ماهيتها النفسية وعناصرها وطقوسها، ومن روادها مصطفى سويف في كتابه "**الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة**" ، والذي نشره سنة (1951).

أما المنهج الاجتماعي فيرى أن الأدب مرآة تعكس المجتمع بكل مظاهره السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، الإيجابية منها والسلبية، وقد تبلور هذا المنهج في النقد

[1] عزالدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، الطبعة الرابعة، دت، ص7،8.

العربي مع الناقد المصري طه حسين في كتابه " **ذكرى أبي العلاء المعري** " ... متأثرا في ذلك بالمستشرقين الذين درّسوه في الجامعات المصرية، وبأساتذة علم الاجتماع، وعلى منواله نجد عباس محمود العقاد في كتابه "**شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي**" ، ففيه يعمد الناقد إلى دراسة شعراء مصر انطلاقا من عناصر: العرق والزمان والمكان ، لأنهم يعتقدون وجود حتمية تربط الإبداع الأدبي ببيئته، خاصة الشعر.

ونجد كذلك الكاتب التونسي " طاهر لبيب " الذي اتبع المنهج البنوي التكويني للوسيان غولدمان في تحليل الخطاب الشعري في كتابه "**سوسيولوجية الغزل العربي: الشعر العذري نموذجا**" [1] إلى غير ذلك من الدراسات.

وفيما يخص الاتجاه التاريخي لتحليل الشعر العربي، " **فقد درس الدكتور طه حسين شعر المجون في العصر العباسي في كتاب " حديث الأربعاء " ثم اتخذ منه دليلا على روح هذا العصر**"[2] ونجد بعض مقولات هذا الاتجاه مفرقة في كتب أحمد أمين مثل " فجر الإسلام"، و" ضحى الإسلام "، و" ظهر الإسلام"، عند تعليقه على الظروف التاريخية التي حكمت بعض الأشعار والقصائد، وفي " تاريخ الأدب العربي " لجورجي زيدان.

كما نجد أن بعض الأعمال العربية قد تبنت مقولات المنهج الأسطوري كما هو عند " كلود ليفي ستراوس " "claude lévi strauss" في تحليله للأساطير الأدبية والعقدية العالمية، ونظريات الناقد الإنجليزي " نورثوب فراي" "northrop frye" حول الأساطير، فمن هذه الدراسات نجد كتاب " المنهج الأسطوري في تفسير الشعر

[1] أصدره بالفرنسية عام 1972م وترجمه حافظ الجمالي إلى العربية سنة 1981م.

[2] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، الطبعة الثامنة، 1424ه، 2003م، ص 168.

الجاهلي "[1]، لعبد الفتاح محمد أحمد، وكتاب " الواقع والأسطورة في شعر أبي ذؤيب الهذلي "[2] للباحث الأردني نصرت عبد الرحمن.

واهتمت هذه الدراسات أساسا بالملابسات الخارجية للإبداع، وأهملت في الغالب النصوص ذاتها فأضرّت هذه التحليلات والتأويلات بالخطابات ، وانحرفت كثيرا عن الموضوعية بتحميل النصوص ما لا تحتمله ، فهي تحليلات جزئية، وليست شاملة لكل مستويات الخطاب الشعري طابعها العام الاستقراء الناقص مع التعميم على كل أعمال الشاعر وعصره.

5 - تحليل الخطاب الشعري العربي ومناهج ما بعد الحداثة:

بعد الثورة على البنوية وشيوع مناهج ما بعد الحداثة في النقد العربي ، والتي تجاوزت هيمنة هذا الاتجاه النصاني على تحليل الخطابات الإنسانية، تلقفها النقاد العرب ، وعكفوا على تطبيق مقولاتها على مختلف النصوص الشعرية العربية، وقدمت على ضوئها نماذج عديدة ذات توجهات متباينة، فنجد أن الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض في كتابه " **بنية الخطاب الشعري؛ دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية** " ، وفي كتابه " **أ ـــ ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد** " ، يستمد آليات التحليل من المنهجين السيميائي والتفكيكي، وكذلك نجد الناقد السعودي عبد الله محمد الغذامي في كتابه " **تشريح النص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة** " يحلل عدة قصائد أهمها تحليله السيميولوجي لقصيدة " إرادة الحياة " لأبي القاسم الشابي.

وكذلك نجد الناقد المغربي محمد السرغيني في كتابه " **محاضرات في السيميولوجيا** " (1987م) والذي درس في جانبه التطبيقي قصيدة " المواكب " لجبران خليل جبران،

---

[1] صدر عن دار المناهل ببيروت اللبنانية سنة 1987م.

[2] صدر عن دار الفكر للنشر والتوزيع بعمان الأردنية سنة 1985م.

والناقد المصري صلاح فضل في " **شفرات النص: بحوث سيميولوجية في شعرية القص والقصيد** " (1990م) والذي درس فيه شعرية ديوان البنفسج لحسن طلب"، ومحمد عزام في كتابه " **النقد والدلالة .. نحو تحليل سيميائي للأدب** " (1996م) والذي درس في جانبه التطبيقي مكونات الخطاب الشعري في قصيدة " شاهين " للشاعر السوري " محمد عمران " من ديوانه " أغان على جدار جليدي "، وكذلك الناقد المغربي حميد سمير في دراسته " **رؤية الشعر وشعر الرؤية عند المتنبي**"...

ومن الجهود المميزة في تحليل الخطاب الشعري العربي التي استقطبت الأنظار ؛ جهود الناقد المغربي "محمد مفتاح" في عديد من دراساته التي طبق فيها مقولات طائفة من مناهج ما بعد الحداثة على الشعر العربي القديم والصوفي والمعاصر، ولعل أهم جهوده ما نراه في كتابه " **في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية** " (1982 م) الذي طبق فيه المنهج السيميائي على نونية أبي البقاء الرندي، وفي كتابه " **تحليل الخطاب الشعري؛ إستراتيجية التناص** " (1985 م)، الذي طبق فيه على رائية الشاعر ابن عبدون بثلاثة مناهج حداثية.

ويعد كتابه (تحليل الخطاب الشعري، إستراتيجية التناص) من أبرز ما يلفت الانتباه في مشروعه، والذي أبان فيه عن جهد كبير تنظيرا وتطبيقا، كما كشف عن قراءة واعية للجهود الغربية في ظل التراث العربي، ولذلك آثرت التعرض له بالدراسة هنا دون غيره، فحاولت إبراز أهمية هذه الجهود من خلال هذا الكتاب، لأن الدراسات التي طالته ـــ في رأيي وفي ظل ما وقفت عليه ـــ لم تتعد الشرح والاختصار متبعة طريقة السرد، و لم تتعرض له بالنقد الكافي.

ويحتاج هذا العمل النقدي الضخم إلى عناية كبيرة، و إلى أن تحيط به دراسات عديدة أكثر عمقا من التي تناولته ، وقد قصرت دراستي هذه على مسألتي المنهج

والمصطلح فقط لأنهما يمثلان العصب الحي لأي علم، ولأنهما أكثر ما يجذب الاهتمام في الكتاب، والاشتغال بمسائل أخرى يطول البحث من جهة، ويلهي عن هاتين المسألتين المهمتين اللتين لهما الأولوية بالعناية من جهة ثانية.

الفصل الأول

بحث في المنهج

أولا: تمهيد:

إن كل دراسة موضوعية لابد لها من منهج محدد وواضح، له أدواته التي تساعد على المعالجة والتحليل للوصول إلى النتائج المرجوة، وعلى كل دارس أن يبين للقارئ ذلك في بداية الدراسة قبل الولوج في صميمها، ليكون بذلك على بيّنة من الموضوع، حتى لا يتهم المؤلف فيما بعد في شيء من مقاصده ويحمل كلامه على غير ما أراد، أو ينسبه إلى الغموض أو العشوائية ونحو هذا، كذلك، فالمنهج يُتّخذ ليكون منارا هاديا للباحث يرجع إليه دوما ليقوّم ما وصل إليه حسب معاييره العلمية الموضوعة مسبقا، ولا يغرق في الذاتية التي تنافي الموضوعية تماما.

لذا، فقد أفصح محمد مفتاح عن المنهج الذي سيتبعه في تحليل ودراسة قصيدة ابن عبدون مباشرة في مدخل كتابه " تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص "، فتحدث عن عائق يتمثل في تردده وحيرته في اختيار المنهج المناسب للتحليل بين طريقتين:

ـــ الأولى: الاكتفاء بمدرسة واحدة، والعكوف على مفاهيمها العامة والخاصة وتطبيقها على الخطاب الشعري.

ـــ الثانية: تجاوز ذلك إلى القراءة المتعددة والتركيب المنهجي على الرغم مما يتضمنه هذا العمل من مزالق ومشاق، لأنه يتطلب من مُنْجِزه المشاركة في كثير من العلوم، والدليل على ذلك أن مجرد الإحاطة بمقولات منهج واحد والبحث فيه متعب ومرهق، وعلى المرء تصور مشقة الإحاطة بعديد المناهج والتركيب بينها.

وهذا التوجه من البحث كان مبنيا على تجربة سابقة هي كتابه " في سيمياء الشعر القديم " التي استفاد منها كثيرا في بناء هذه الرؤية وكتابة هذا البحث؛ وكان حلل فيه نونية الشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي سيميائيا، ورأى من خلال هذه التجربة أن هذا المنهج غير كاف للإحاطة بالخطاب الشعري ، مع أنه أشمل من غيره وأصلح في نظر كثير من النقاد.

وانتهى الباحث بعد هذا التردد إلى العدول عن الطريقة الأولى؛ لأن هذه النظرة الأحادية ـــ في نظره ـــ قاصرة تشوبها عيوب كثيرة، إذ يعتقد محمد مفتاح أن الاتجاهات النقدية، أو المدارس، أو النظريات، أو مهما كان وسمها هي قاصرة وعاجزة عن الإحاطة بكل مستويات الخطاب الشعري الذي يتصف بالتعقيد، يقول: « **إنّ أيّ مدرسة لم تتوفّق إلى الآن في صياغة نظرية شاملة، وإنّما كل ما نجده هو بعض المبادئ الجزئية والنسبيّة التي إذا أضاءت جوانب بقيت أخرى مظلمة** ».[1]

لذلك عمد إلى الأخذ من ثوابت ثلاثة مناهج لسانية، أي أدواتها الإجرائية التي أثبتت قيمتها وفعاليتها بنجاح تطبيقها على نصوص مختلفة، وهي التي رآها هنا مناسبة للإحاطة بالخطاب الشعري بشكل أفضل مما توفره عناصر المنهج الواحد، ولكنه توخى في ذلك إعادة النظر فيها ، وتوسيع بعض مفاهيمها، حتى يتحقق الانسجام بين العناصر التي اختارها لمنهجه.

واعتماده على هذا المنهج الذي يأخذ من هنا وهناك قد يجعل بعض النقاد يصفه بالانتقائية أو التلفيقية وحتى باللامنهج، وهو أمر تنبه له ال باحث مسبقا؛ يقول: « **إن الأخذ من نظريات مختلفة يحتّم الانتقائية، ولكنّه لا يؤدي إلى التلفيقية بالضرورة، لأنّ آفة الانتقائية لا تصيب إلاّ من كان ساذجا مؤمنا إيمانا أعمى بما يقرأ** ».[2] أي هو لا يجتر فقط دون نقد وتمحيص، وإنما كان انتقاؤه هذا مبنيا على قراءة واعية لهذه المدارس ومقولاتها، مدركا ما لها من إيجابيات وما عليها من سلبيات ومآخذ.

إن هذه التلفيقية أو التركيبية والمتح من عدة نظريات هو في الحقيقة ما يطلق عليه الباحثون اليوم المنهج التكاملي، والذي يبنيه محمد مفتاح في هذا البحث على ثلاث نظريات حديثة هي: التيار التداولي، التيار السيميوطيقي (السيميائي)، والتيار الشعري، بعدما مزج بينها، وركب بين ثوابتها؛ مجهدا نفسه في تحقيق الانسجام بينها لتكوين ونحت

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 1992م، ص 07.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

منهج متكامل ونموذجي للتحليل، لذا يجدر بي التعريف بالمنهج التكاملي أولا، وبيان خصائصه، ثم أركانه عند محمد مفتاح؛ معرفا بها وأبرز انتقاداته لها.

ـــ ثانيا: تعريف وتأصيل المنهج التكاملي:

إن للمنهج التكاملي مفاهيم عديدة، بتعدد المجالات التي تستخدم فيها المنهجية التكاملية، ولأن التكامل لا يكون إلا بين مجموعة فهو يعرف عموما على أنه « **استخدام أكثر من منهج في البحث؛ بحيث تتكامل ما بينها في وضع وتطبيق مستلزمات البحث**».[1]

أي إن المنهج التكاملي مكوّن من عدّة مناهج تتضافر جميعها لإخراج العمل النقدي للخطاب في أكمل صورة يمكن الحصول عليها، رَومًا للموضوعية واقترابا من مقاصد صاحبه، وهو بذلك يختلف من باحث لآخر من حيث تركيبه، فقد يكون نتيجة تركيب بين منهجين أو ثلاثة مناهج أو أكثر، حسب ما يقتضيه الجنس الأدبي عند تحليله، ومراعاة لطبيعته بساطة وتعقيدا، وما يمليه حفوله بمستويات متنوعة ومتباينة.

وانبناؤه على هذه الشاكلة، يجعل بعض الباحثين ينتقدونه، وقد يتنكرون له ويصفونه بصفات ينتقصونه بها، مشككين في أهليته وفي بنائه الإبستيمولوجي والعلمي.

يعلق محمد عزام ـــ وغيره ـــ على المنهج الذي اتبعه محمد مفتاح في كتابه، منتقدا إياه ومنتقصا له فيقول:« **وهذا الاعتذار عن جمع أكثر من منهج نقدي واحد ليس له ما يسوّغه سوى ضعف الإحاطة بمفاهيم المنهج الواحد ومقولاته، وحب "التوفيق" بين أكثر من منهج (إذا لم نقل التلفيق) ذلك أن الباحث استوحى النظريات اللسانية من ثلاثة مصادر** ».[2] ثم ذكرها، ونقد محمد عزام هذا غير مؤسس وبعيد عن الموضوعية؛

[1] عبد الهادي الفضلي، أصول البحث، دار المؤرخ العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1412ه، 1992م، ص 63.

[2] محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط،2003 م، ص 57.

بدليل أن الباحث مدرك ومحيط بمفاهيم المنهج الواحد، وأنه ينتقدها ويوسع فيها محققا تجانسا كبيرا بينها على رغم من اختلافها في كل ما انتقاه، وخلاصة القول أن التلفيقية هي أبرز الانتقادات التي وجهت إلى هذا المنهج خاصة وإلى مفتاح عموما.

إن نقد المنهج التكاملي بالتلفيق هو قتل لسيرورة العلم، إذ ليس العلم جامدا ولا متوقفا عند هذه المناهج كما لم يتوقف من قبل عند اللسانيات أو أعمال الشكلانيين الروس والبنويين، ولهذا فقد دافع محمد مفتاح بقوة عن المنهاجية التي اتبعها هنا، وردّ مسبقا على كل من ينتقده قائلا:« **إن الأخذ من نظريات مختلفة يحتّم الانتقائية، ولكنّه لا يؤدي إلى التلفيقية بالضرورة، لأنّ آفة الانتقائية لا تصيب إلاّ من كان ساذجا مؤمنا إيمانا أعمى بما يقرأ** ». [1] ثم أليست السيميائية ـــ مثلا ـــ تلفيقا وجمعا بين السرديات ، والمنطق، والرياضيات، وعلم الأساطير ، ومورفولوجيا الحكاية الخرافية وغيرها... بكيفية من الكيفيات؟! وينسحب المقال على غيرها ـــ حسب الدارس دوما.

إن محمد مفتاح ليس بِدْعا من النقاد، تفرّد باختيار التكاملية منهجا يمتح من خلاله وينتقي من نظريات ومناهج عديدة، فقد سار في هذا الاتجاه جهابذة من النقاد قبله، وجمع من المعاصرين له؛ فضلوا كلهم هذا المنهج على بقية المناهج؛ منهم سيد قطب وشوقي ضيف، وأحمد كمال زكي، وشكري فيصل، وعبد المنعم خفاجي، وجورج طرابيشي، ونعيم اليافي، وعبد الملك مرتاض، وعبد الله محمد الغذامي وغيرهم كثير، على اختلافٍ في مكوناته عند كل واحد منهم؛ وهذه الخاصية من طبيعته ـــ أي: الدينامية وعدم الجمود على عناصر معينة للتحليل ـــ كما سنرى، وأسهموا فيه إسهامات جليلة على رغم من أنه مذهب نقدي غربي في أصله، يقول عبد العزيز عتيق مصدقا لما سبق:« **ومما يلاحظ على النقد العربي الحديث أنه كثيرا ما يسلك طريق المنهج التكاملي الذي يضمّ في ثناياه أهم مزايا المناهج الأخرى...**» [2]

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 07.

[2] عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1391هـ، 1972م، ص 309.

وسبب توجه النقاد العرب إلى التكاملية هو نتاجُ ممارساتٍ سابقةٍ في نقد نصوص وخطابات متنوعة، ولذلك نراهم قد حذروا كثيرا من خطر الجمود على منهج معين في الدراسة، والعكوف عليه دون سواه؛ مع ما يظهر منه من قصور يعتريه في بعض جوانبه ـــ عيانا ـــ يقول سيد قطب ـــ رحمه الله ـــ:« **والمناهج ـــ بصفة عامة في النقد ـــ تصلح وتفيد حين تُتّخذ منارات ومعالم، ولكنها تفسد وتضر إذا جعلت قيودا وحدودا؛ شأنها في هذا شأن " المدارس " في الأدب ذاته، فكل قالب محدود هو قيد للإبداع، وقد يصنع القالب لنضبط به النماذج المصنوعة، لا لتصب فيه النماذج وتصاغ** ».[1]

ونفس التوجه نجده عند شوقي ضيف؛ يقول بعد تعرضه لعدة مناهج بالتعريف:« **لعل في هذه الإلمامة بمناهج الدراسات الأدبية عند الغربيين ما يصور في وضوح كيف أنه لم يوضع لدراسة الأدب والبحث في شخصياته منهج واحد يعتمد عليه جميع الباحثين الغربيين، وكأن البحث الأدبي أعقد من أن يخضع لمنهج معين، أو قل: إنه لا يمكن أن يحتويه منهج بعينه، ولذلك كان من الواجب على الباحث أن يفيد من هذه المناهج والدراسات جميعا، وهو ما نسميه بالمنهج التكاملي، حتى تنكشف له جميع الأبعاد في الأديب وفي الآثار الأدبية...**» [2]

إن هذا التوجه المنهجي موجود في الغرب منذ عهد طويل، نراه في عديد الأبحاث النقدية والعلمية، ويؤكد الناقد الأرجنتيني "إنريك أندرسون إمبرت " " enrique anderson imbert" على ضعف النقد المبني على توجه واحد، وأنه « **لا يوجد في الحقيقة ناقد يحمل نفسه على طراز [منهج] واحد فقط، أو منهج واحد فحسب، وكل**

[1] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص253.

[2] شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، دار المعارف، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، دت، ص 139.

الفروع تتبادل نتائجها فيما بينها عندما يكون دارس الأدب ناقدا جيدا، وكل الطرز تختلط عندما يحكم عليها الناقد الجيد ».[1]

ولهذا ينتقد بقوة الرؤى التي تُقيّم على إثرها المناهج اليوم؛ يقول:« ... **وقلنا أيضا إنه ليس هناك طراز [منهج] من النقد أعلى من الآخر. والقول بأن هذا النقد خارجي وذاك داخلي مجرد مجاز، وأهم من هذا يجب التحدث عن نقاد سطحيين وآخرين عميقين، ويمكن أن يكون النقد سطحيا في ممارسة ما يدعى بالنقد الداخلي: في تحليل استعارة مثلا، وعلى النقيض يمكن أن يكون عميقا في ممارسة ما يسمى النقد الخارجي: في تحليل المجال الاجتماعي الذي التقط منه استعارته مثلا. والناقد المتعمق لا يمكننا أن نصنفه بسهولة، لسبب بسيط هو أنه لكي يتعمق في عمل ما، عليه أن يستغل كل الفروع، ويبارز كل المناهج التي تحاصره ».** [2]

ليشبّه كثيرا من النقاد الذين قد عملوا في الأدب عموما بعمال المناجم الذين يحفرون أنفاقا، محاولين الاقتراب بضربات المعاول، ويُسمِعون الأصوات، ثم ينتهون إلى هدم الجدار الأخير فيلتقون ويختلطون! رغم أن كل واحد منهم زعم أنه سلك طريقا خاصا.

ولذلك نحن نرى التكاملية في أعمال نقاد غربيين مثل "بيار جيرو" " pierre guiraud" الذي جمع بين الأسلوبية والبنوية (stylistique stucturale) وعند "ميكائيل ريفاتير " " michael riffaterre" الذي جمع بين السيمياء والأسلوبية (sémio-stylistique).

إن النظر إلى المناهج على أنها قواعد وقوانين واجبة الإتباع هو أمر ضار للنقد والناقد على حد سواء أكثر مما هو نافع كما قد يعتقد البعض، فضررها على النقد يتجلى

[1] إنريك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، تر: الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 119.

[2] المرجع نفسه، ص 119، 120.

في « **أنها تفسده وتخنقه وتقضي على روحه، وبالتالي تؤثر في الأدب وتحاول أن تفرض عليه ما ليس في طبيعته، وتتحكم في حريته وانطلاقاته التي هي مصدر إبداعه وابتكاراته، أما ضررها على الناقد فيتمثل في أن تقيده بأصول هذه المناهج وحدودها من شأنه أن يجعله عبدا لها، وأن يضعف من شخصية الناقد فيه، وأن يجمد نشاطه الخلاق، وأن يحد من روح التجديد والابتكار عنده، تلك الروح التي تعينه على أن يضيف جديدا إلى التراث النقدي...** » [1]

فالمنهج التكاملي عند سيد قطب مثلا ـــ وهو أول من تحدث عنه في النقد العربي المعاصر ـــ في كتابه " النقد الأدبي أصوله ومناهجه " هو المنهج الفني المبني بدوره على مناهج فرعية هي: المنهج التأثري ، والمنهج التقريري، والمنهج الذوقي (الجمالي) إضافة إلى المنهج النفسي، والمنهج التاريخي؛ يقول:« **إذا كنا قد آثرنا "المنهج الفني" ـــ وهو في حقيقته متكامل من منهجين أو ثلاثة: المنهج التأثري، والمنهج التقريري، والمنهج الذوقي، أو الجمالي ـــ فإنما آثرناه لأنه أقرب المناهج إلى طبيعة العمل الأدبي، ولكننا لم نقصد أن يكون هو المنهج المفرد فالملاحظة النفسية عنصر مهم فيه، والملاحظة التاريخية ضرورية في بعض مناحيه** ». [2]

وعند شوقي ضيف يتكون من المنهج النفسي والتاريخي والاجتماعي وغيرها يقول:« **وواضح من كل ما سبق أن الباحث الأدبي الحديث ينبغي أن يستضيء في عمله بكل المناهج والدراسات السابقة، إذ لا يكفي منهج واحد ولا دراسة واحدة لكي ينهض بعمله على الوجه الأكمل، بل لابد أن يستعين بها جميعا، حتى يمكن أن يضطلع ببحث أدبي قيم، ولعل في تعددها ما يشهد بأن منهجا واحدا لا يغني غناء تاما**

[1] عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ص 308، 309.

[2] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 253.

في البحوث الأدبية، فلابد أن يتحول عقل الباحث إلى ما يشبه مرآة تعكس أضواء كل تلك المناهج ».[1]

إنه يرى في التكاملية تضافرا واجتماعا للعديد من المكاسب النقدية، إذ هي « **تعكس فكرة الفردية والأصالة والمدرسة أو الفصيلة الأدبية وأفكار البيئة والعصر والظروف والتطور التاريخي والحاجات الاقتصادية للمجتمع والتزام الأديب ومدى تمثيله لمجتمعه، ورواسب اللاشعور الفردي و اللاشعور الجمعي وعناصر الجمال الكلي للتعبير وموسيقاه، كما تعكس انطباعات الباحث الممتعة وصلة الأديب بالتراث الفني وأيضا تعكس تحليلات لغوية ونحوية وبلاغية دقيقة ».** [2] كل هذا يتوفر في الوقت عينه من خلال تطبيق التكاملية، ولذلك يدعوا الباحث الأدبي لأن يوسع أفق نظره ويحول نصب عينيه هذه الأهداف إلى ما يشبه منارات ضخمة تهديه السبيل.

ومن المعاصرين للأستاذ مفتاح؛ نجد الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض الذي دافع جاهدا عن هذا التوجه في عديد كتاباته وأعماله؛ يقول:« **فإذا سلمنا بأن كل منهج ناقص، وكل ناقص يفتقر إلى كمال، وكل كامل مستحيل على هذه الأرض؛ اقتنعنا بضرورة تضافر مساعي كل الكفاءات النقدية والعبقريات التنظيرية لمحاولة إيجاد مقاربة منهجية تبتعد، ما أمكن، عن النقص والخلل وتزدلف ما أمكن من الكمال** » .[3] ولذلك نراه كثيرا ما يجمع بين السيميائية والتفكيكية والبنوية؛ مقرّا بتهجين المناهج، يقول كذلك:« **وقد دأبنا (...) على السعي إلى المزاوجة، أو المثالثة، أو المرابعة، وربما المخامسة بين طائفة من المستويات؛ باصطناع القراءة المركبة ».** [4]

---

[1] شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، ص144، 145.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري: تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005م، ص 18، 19 حتى 23.

[4] المرجع نفسه، ص 9 وص 43.

وهو صنيع الناقد عبد الله محمد الغذامي في بعض ممارسته النقدية؛ كما في كتاب " الخطيئة والتكفير " أو" تشريح النص " مثلا؛ حيث « **جمع بين البنيوية والسيميائية والتشريحية، فأخذ من الأولى فكرة العلاقات، ومن الثانية عناصرها الثلاثة: العلامة (signe) والأيقون (icone) والإشارة (indice) في ارتباطها بالتحول الدلالي، ومن الثالثة أخذ قراءتها الحرة والتي يراها نظامية وجادة، موافقا ليتش (leitch)، وزاد على ذلك كله نظرية القراءة معززا بها توجهه التركيبي غير المعلن**». [1]

إذن، لا يمكن بحال إنكار وجود علمي للمنهج التكاملي، أو إلغاء تأصيله العلمي المغرق في القدم، فكثيرون هم الذين نهجوا هذا التوجه الإجرائي في تحليل الخطابات الأدبية المختلفة، ولهم وزن علمي كبير في الساحة الأدبية والنقدية العالمية والعربية، وبذلك يبطل اتهام بعض الباحثين هنا وهناك لمنهج محمد مفتاح بعدهم إياه مجرد ترقيع وتلفيق لا منهجي واتّباعا لأهواء ذاتية، غير مؤسسة على أسس علمية متينة.

[1] أحمد مداس، لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، الطبعة الثانية، 1430هـ، 2009م، ص 66.

ـــ ثالثا: مميزات المنهج التكاملي وأهميته:

لكل منهج ـــ مهما كان ـــ غاية وهدفا من توظيفه دون غيره، يطمح كل باحث أثناء الدراسة والتجريب من خلال ما يمتاز به من عناصر وأدوات لتحقيق أبعاد معينة، والمنهج التكاملي الذي نحن بصدد الحديث عنه يمتاز **بالمرونة والدينامية** المستمرة، فهو منهج لا يستقر على عناصر معينة في التحليل، بل كل مرة نراه يرتكز على عناصر جديدة، وكل باحث يستعمله استعمالا خاصا به؛ متوخيا في ذلك إحلال الانسجام بين عناصره ما أمكن، ولذلك فهو « **منهج مرن لا يقف عند حدود معينة، وإنما يأخذ من كل منهج ما يراه معينا على إصدار أحكام متكاملة على الأعمال الأدبية من جميع جوانبها** »[1] ، وسمح هذا المنهج للباحث من استثمار خصائصه، وتحقيق الأبعاد الآتية في دراسته:

1 ـــ العمق:

يسمح هذا المنهج بالولوج إلى عمق العمل الأدبي وفهمه ، من خلال توفيره لأدوات مستمدة من مناهج مختلفة تساعد على الاستقراء النموذجي له، وعلى الاقتراب أكثر من مقاصده، وفي الوقت نفسه « **يسمح هذا المنهج بتتبع التطورات التي لحقت بالفكر بمدارسه المختلفة في مجال تعريف الظاهرة وتفسيرها، والعرض لمراحل دراستها وتطور تلك الدراسة منهجيا وأكاديميا وأوجه النقد السلبية والإيجابية والقصور والمزايا، الخاصة بكل منها، سواء في تعريفها للظاهرة أو في تفسيرها لعواملها** ».[2]

وهذا البعد متحقق جلي في تحليل الباحث لقصيدة ابن عبدون، فقد عرض لمراحل التطور المنهجي لكل من النظرية التداولية والسيميائية والشعرية، وأوجه النقد السلبية والإيجابية لها، والقصور والمزايا في أداوتها الإجرائية، مناقشا لها، خصوصا تلك التي رأى أنها تخدم منهجه التكاملي وتكون عنصرا أساسا فيه، وذلك في المدخل والفصول النظرية

[1] عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، ص 308.

[2] محمد عبد الغني سعودي، ومحسن أحمد خضيري، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، دط، 1992م، ص 70.

من الكتاب، ما سمح لنا بالولوج لعمق العمل الأدبي المتمثل في قصيدة ابن عبدون في رثائه لبني المظفر الأندلسيين، ودوافعه النفسية والاجتماعية من خلال البنى اللسانية ومستوياتها المتنوعة، وهو أمر قد لا يوفره منهج واحد.

2 ــ الشمول:

إن من مزايا المنهج التكاملي شموليته للظاهرة المدروسة ، وإعطاء صورة وافية عنها في جزئياتها ومجموعها ككل، وذلك من خلال مختلف أدواته وحركيته المستمرة فهو منهج يعمل على « **استقراء وبحث وتحليل كافة البيانات أو المعلومات التي أمكن جمعها عن العوامل والمسببات أو الفروض والبدائل ذات العلاقة بإحداث الظاهرة أو بنموها وانتشارها على تنوعها وكثافتها، متناولا إياها بالتحليل المنطقي سواء في اقترابه من البواعث والأسباب المحدثة لها أو في تتبعه لعوامل نموها ومن خلال حركة دينميكيتها في إطارها الكلي صعودا أو هبوطا متأثرة بعوامل الزمان والمكان ومتغيراتهما ودورهما في تشكيل الظاهرة محل البحث** ».[1]

حاول مفتاح مقاربة قصيدة ابن عبدون بشمولية كافية محاولا تغطية جميع جوانبه ا والإلمام بكل مستوياته ا السطحية والعميقة (الشكل والمحتوى) في الصوت والتركيب بقسميه والمعجم والتناص والمقصدية، من الداخل والخارج والجزء والكل، وإعادة الاعتبار لبعض الشوارد التي أهملت في مناهج أخرى ، وتبيان دورها المفصلي في تحديد بعض المقاصد، ويتجاوز إطار الملامح والأبعاد الخاصة المشار لها في الخطاب إلى الإطار الرحب له بالتعرض الفعلي لقضاياه الحقيقة ورسائله الجوهرية.

3 ــ الاتساق والتوازن:

إن المنهج التكاملي منهج علمي تطبقه عديد المعارف والعلوم في الدراسة، لأنه يسمح لنا دائما « **باستخدام أدوات التحليل الإحصائي والرياضي والقياسي؛ بالمقدار**

[1] المرجع السابق، ص 70.

الذي تتطلبه الدراسة لتوفير عناصر التوازن والاتساق بين تتبع الظاهرة من الناحية التاريخية سواء في تطورها العملي أو الفكري؛ وبين التدليل على حركتها كميا وتتبعها وقياسيا وتصوير النتائج التي يتم التوصل إليها في شكل مؤثرات في غاية الأهمية ». [1]

كما يتحقق التوازن والاتساق أيضا من خلال استخدام هذا المنهج في دراسة الظاهرة من خلال انتشارها العام، وفي دراسة إحدى الخصائص بشكل خاص في إطار من التدرج المنطقي المتوازن لإيجاد الترابط وتحقيق الاتساق بين دراسة الكل في مجموعه العام؛ أي في أقصى مداه، وبين دراسة الجزء الخاص في منتهاه.

ويصبح المزج بين النظريات والتطبيق أمرا ضروريا ولازما لتكامل هذا المنهج، بحيث يتم العرض للجهود النظرية لتفسير الظاهرة والإضافة إليها، وربطها بالتطبيق العملي.

ويتمثل التوازن الذي يحققه المنهج في التحليل في أن جميع جوانبه تحظى بنفس القدر من الأهمية فهو منهج لا يغلّب جانبا على آخر فيهمل المتلقي ويركز على المتكلم مثلا، أو يركز على داخل النص ويهمل السياق والظروف الخارجية التي أحاطت به، وهذا ما نراه تحقق في تحليل الأستاذ مفتاح لرائية ابن عبدون.

كذلك فالهدف منه هو **التوضيح والتقويم** الدقيق للعمل الأدبي، يقول شوقي ضيف: « **ويدل على ذلك أن كل ما نهض به الغربيون القدماء والمحدثون، وكذلك العرب في القديم والحديث إنما يراد به شيئان دائما هما التوضيح والتقويم، توضيح الأثر الأدبي توضيحا تاما يشمل كل خصائصه وكل معانيه، وتقويمه أيضا تقويما سديدا بمعايير سليمة. والباحث الأدبي لذلك يستعين بكل ما وضع الدارسون للأدب من مناهج، لأنها لا تعدو هذين الطرفين ».** [2]

[1] ينظر المرجع السابق، ص 70، 71.

[2] شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، ص145.

وننتهي في الأخير إلى القيمة الأساسية للمنهج التكاملي المتمثلة في أنه منهج « **يتناول العمل الأدبي من جميع زواياه؛ ويتناول صاحبه كذلك، بجانب تناوله للبيئة والتاريخ، وأنه لا يغفل القيم الفنية الخالصة، ولا يغرقها في غمار البحوث التاريخية أو الدراسات النفسية، وأنه يجعلنا نعيش في جو الأدب الخاص، دون أن ننسى مع هذا أنه أحد مظاهر النشاط النفسي، وأحد مظاهر المجتمع التاريخية ــ إلى حد كبير أو صغير. وهذا هو الوصف الصحيح المتكامل للفنون والآداب** ».[1]

إن هذا الاستعراض لطائفة من التنويهات بالمنهج التكاملي لخيرة من النقاد والباحثين العرب والغربيين، وسرد بعض المزايا والخصائص؛ يبين جليا سداد المذهب الذي اختاره محمد مفتاح، كما يؤكد أنه ناقد وعى مبكرا إبستيمولوجية المنهج، ويبقى لنا بعد العرض النظري المبدئي لهذا الاختيار منه أن نرصد تعامله معه وأن ندرس تطبيقه له.

[1] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص256.

رابعا : أركان المنهج التكاملي في كتاب تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح:

النظريات التي كونت المنهج التكاملي عند محمد مفتاح هي مناهج حديثة وليدة القرن العشرين جاءت نتيجة الإحساس بنقص وعيوب المناهج قبلها، وحديثي عنها في هذا العنصر ليس لشرحها وتبيين مقولاتها فلذلك كتب خاصة يطول بحثها، وإنما لإدراك الغاية من استعمال محمد مفتاح لها في ه ذا البحث دون غيرها من الم ناهج. يقول في نقد ذاتي لعمله هذا:« **إننا اطلعنا على بعض النظريات اللسانية الحديثة، وعلى بعض الاجتهادات العربية القديمة وحاولنا الاستفادة منها، وقد مر تعاملنا ــ مع كل ذلك ــ بمرحلتين:**

ــ أولاهما: تكييفه عن طريق الاختزال أو التتميم.

ــ ثانيهما: استثمار المبادئ الكلية الجامعة بين كل النظريات». [1]

أي إعادة النظر في هذا النظريات والمقولات، روما منه لتكاملية منهجية نموذجية تشرح حقيقة مقولات الخطاب ورسائله، وتلبي طموحات القارئ، وهذه المناهج هي:

1 ــ المنهج التداولي:

1 ــ أ ــ لمحة عن المنهج التداولي:

يصعب استعراض منشأ اللسانيات التداولية وتحديده بدقة؛ خصوصا أن لهذا التوجه عديد الخلفيات المعرفية، مثل الفلسفة التحليلية بزعامة الفيلسوف الألماني "كوتلوب فريجه" " g. frige" [1848-1925]، وفتوح نظرية التلفظ لبنفنيست "i.benveniste"، وأخيرا جهود حلقة أكسفورد (فلاسفة اللغة العادية) مثل: جون أوستين "j.austin"، وسيرل "j.r.searl"، وبول كرايس"p. grice".

وأتت النظرية التداولية كرد فعل على « **الصرامة الزائدة في البنوية؛ التي تتمثل في الشكلية الخالصة؛ أي فصل الظاهرة اللغوية عن كل أبعادها الخارجية وانغلاقها التام**

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 1421ه، 2000م، ص 95.

على النص دون اعتبار أي علائق تاريخية أو نفسية أو ظروف برانية تؤثر في النص ويؤثر فيها أيضا، لتقيم ــ التداولية ــ المصالحة مع البعد المهمش والمنفي من قبل البنيوية والسيميائية واللسانية السوسيرية ».[1]

ثارت مناهج ما بعد البنوية على المقولة التي شاعت عن الوظيفة الأحادية للغة والمتمثلة في التواصل فقط؛ ونادت بتعدد وظائف اللغة مثل: لودفيك فتجنشتاين "l.wittgenstein" [1889ــ1951] وأوزفالد ديكرو "o. ducrot" اللذين قالا بمبدأ "اللعب اللغوي" (jeus de langue)، وفلاسفة اللغة العادية بدراسة الأفعال الكلامية، وبعض اللسانيين المتأخرين مثل: ديتر بوهلر "d. buhler"، ورومان ياكبسون " r. jakobson" في وظائف اللغة، ولعل أهم هذه الوظائف، أن اللغة ذات وظيفة تأثيرية في السلوك الإنساني، وتُبْنَى عليها تغيّرات في المواقف والآراء، تبلورت هذه الآراء كلها في التداولية « **التي تتناول مظاهر لغوية عديدة بوجهات نظر متنوعة؛ ولكنها تكاد تتفق على أن اللغة اجتماعية يمارسها أناس يعيشون في مجتمع، وهذه الممارسة خاضعة لقواعد** ».[2]

ويعرفها "ماكسيديكو" "maxidico" في "المعجم الموسوعي للغة الفرنسية" على أنها: « **تعني ذلك الاهتمام المنصب على مستوى لساني خاص، يهتم بدراسة اللغة في علاقتها بالسياق المرجعي لعملية التخاطب، وبالأفراد الذين تجري بينهم تلك العملية التواصلية** ».[3] أي اعتمادها على مبدأ التعددية العلائقية بين أطراف الخطاب والمؤثرات العامة فيه من خارجه.

---

[1] سليم أودينة، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، مخطوط، رسالة ماجستير، إشراف لخضر مذبوح، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1429هـ، 2009م، ص 28.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 137، 138.

[3] نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراء، دار بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2009م، ص 18.

إن التداولية نظرية تقدم طريقة جديدة في فهم الغاية من التلفظ، كما تعمل على الربط بين النص والقارئ والمؤلف بعلاقة ثلاثية متينة، هذه العلاقة لم تكن موجودة في دراسات قبلها. ومن مباحثها كذلك « **بيان أسباب أفضلية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر** » [1] ، مثل الإيماءات والإشارات وحتى القصائد التي لا يحضر فيها المتلقي، وتهتم التداولية كذلك بالسياق الداخلي والخارجي، وتتجاوز ما كان البنويون يصنعونه من دراسة اللغة بعيدا عن الواقع، كما أعادت الاعتبار والاهتمام لكثير من مباحث الصوتيات كمبحثي النبر والتنغيم ورأت أنهما يلعبان دورين مهمين في معرفة المقاصد والمعاني من خلال طرق الأداء والتلفظ.

وعموما، فالتداولية « **درس لا يزال غزيرا حيويا منتجا يمد ساحة الدراسات اللغوية والمعرفية بأفكار ومفاهيم ورؤى جديدة، ويقيم الروابط العلمية بين فروع علمية متعددة؛ فمن أجل دراسة الأبعاد الاستعمالية للغة أصبح لزاما على الباحث الوعي بجوهر الخطاب التداولي وأبعاده المنهجية** » .[2] وجعلت كل هذه العوامل محمد مفتاح يوظفه في منهجه التكاملي، ومكنتقراءة جهود أبرز أعلام التداولية وتوجهاتها من تقسيمها إلى تيارين رئيسيين هما:

1 ــ تيار موريس: نسبة إلى الفيلسوف الأمريكي شارل موريس " Charles Morris" [1901ــ1979]، خصوصا في كتابه " أسس نظرية العلامات " (1938)، ويسمى تياره كذلك بالتداوليات التلفظية.

2 ــ تيار فلاسفة أكسفورد: على رأسهم أوستين وسورل وكرايس، وهم من يعرفون باسم فلاسفة اللغة العادية، ويسمى اتجاههم كذلك بالتداوليات التخاطبية.

[1] مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م، ص 28.

[2] المرجع نفسه، ص 16.

وعند قراءتي للكتاب لاحظ ت أن محمد مفتاح ركّز فيه فقط على جهود من يعرفون بفلاسفة مدرسة أكسفورد، وخاصة (سيرل) فيما يعرف عنده بنظرية الأفعال الكلامية، لماذا يا ترى؟ هذا ما نرى جوابه في النقطة الآتية:

1 ــ ب : العناصر التي استثمرها الباحث من التيار التداولي:

يعتقد الباحث أنه وعلى الرغم من الانتقادات التي توجه للتداولية ومقولاتها وبعض السلبيات التي تظهر عليها؛ إلا أنه يرى أنها قدمت « **دراسات مفيدة حول ظواهر لغوية هي من صميم الخطاب الأدبي، كالأفعال الكلامية اللامباشرة، وأسماء الأعلام، والأوصاف المحددة والاستعارة... ووضعت مفاهيم إجرائية ــ رغم اختزالها ــ في غاية الأهمية مثل: المعنى الحرفي للجملة/ والمعنى المقالي، والمقصدية، والفعل الكلامي / والفعل الكلامي الاجتماعي** ».[1] فمن مقولات التداولية التي استثمرها في التحليل:

1 ــ ب ــ 1 ــ الأفعال الكلامية:

استثمر هذا المفهوم في (فصل التفاعل) بين المخاطب والمتلقي من تيار فلاسفة أوكسفورد على رأسهم أوستين وسورل اهتموا أساسا بدراسة الأفعال الكلامية لأن الكلام « **يقصد به تبادل المعلومات مع القيام بفعل محكوم بقواعد مضبوطة في الوقت نفسه، وهذا الفعل يهدف إلى تحويل وضع المتلقي وتغيير النظام معتقداته ومواقفه السلوكية** » [2] ، ولأن النص الشعري حسب مفتاح « **ليس لعب ألفاظ، وليس نقل تجربة ذاتية وحسب، وإنما يهدف فوق ذلك كله، إلى الحث والتحريض . وهذا المفهوم الأخير** ــ أي الحث والتحريض ــ **تشمله نظرية "الكلام فعل" أو التداولية** » .[3] على حد تعبير (أركيشيوني)، والأمثلة من الشعر على ما ذهب إليه الناقد كثيرة جدا.

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 09.

[2] المصدر نفسه، ص 139.

[3] محمد مفتاح، في سيمياء الشعر القديم: دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب دط، 1409هـ، 1989م، ص 53.

وقد حصر (سورل: 1979م) أفعال الكلام في خمسة هي:

أ - الإخبار: بحيث تبلغ مستمعك خبرا صادقا أو كاذبا، وتسمى كذلك الممثلات (representatives) وهي أفعال تمثل ما يؤمن به المتكلم أنه الحالة أو لا، وتمثل جمل الحقيقة والجزم والاستنتاجات والأوصاف، وباستعمالها يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم (عالم الاعتقاد).

ب - الأمر: بحيث تحاول أن تجعل متلقيك يفعل شيئا ما، وتسمى كذلك الموجهات (directives) وهي تعبر عما يريده المتكلم، وتتخذ أشكال أوامر وتعليمات وطلبات ونواه ومقترحات ويمكن أن تكون إيجابية أو سلبية، وباستعمالها يحاول المتكلم جعل العالم ملائما للكلمات (عبر المستمع).

ج - الالتزام: حيث تلزم نفسك بفعل شيء ما مستقبلا، والملزمات (commissives) تعبر عما ينويه المتكلم، وهي عبارة عن وعود وتعهدات وتهديدات يمكن أن ينجزها المتكلم فقط واستعمال المتكلم هذا النوع ليأخذ على عاتقه جعل العالم ملائما للكلمات (عبر المتكلم).

د - التصريح: حيث تحمل تغييرات إلى العالم بقولك، وتسمّى هذه الأفعال كذلك بالإعلانات (declarations) وهي أفعال تغير الحالة عبر لفظها، ويتوجب على المتكلم تسنّم دور مؤسساتي، في سياق معيّن لإنجاز الإعلان والتصريح بصورة صحيحة.

هـ - التعبير: حيث تعبر عن إحساساتك ومواقفك، والمعبرات (expressives) أفعال تبين ما يشعر به المتكلم، فهي تعبر عن حالات نفسية ، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت، وباستعمال المعبرات يجعل المتكلم الكلمات تلائم العالم (عالم الأحاسيس) .[1]

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 144، 145. وجورج يول، التداولية، ترجمة قصي عتابي، دار الأمان، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 2003م، من ص 89 إلى ص 91.

لكن مفتاح لم يستسغ هذا التقسيم؛ فأعاد النظر فيه بناء على جملة من البراهين التي تؤكد وجود ثغرة معرفية فيه.[1]

إن نظرية الأفعال الكلامية، على كل حال، تقلب تلك الثنائيات السوسيرية اللسانية

وترمي لما يلي:

ـــ أسبقية البعد الإنتاجي على البعد الوصفي التمثيلي للغة.

ـــ أسبقية الاستعمال على النظام.

ـــ أسبقية الكلام على اللغة.

ـــ أسبقية الإنجاز على القدرة.[2]

1ـــ ب ـــ 2 ـــ السياق:

تحدث مفتاح عنه وعن أهميته في مواضع عديدة من كتابه، ومع ذلك لم يفرد له فصلا مستقلا، وهذا يرجع ربما إلى أن هذا المفهوم لم يحظَ في النظريتين السيميائية والشعرية بقسط وافر من الاهتمام، ولأن شرط مفتاح في منهج تحليله الاعتماد على ثوابت صريحة لهذه النظريات، فأدخله في عموم مفاهيم أخرى للتداولية كأفعال الكلام وقواعد المحادثة...

1 ـــ ب 3 ـــ الإشاريات:

يرى مفتاح أن تيار موريس هو أكثر من اهتم بهذا المفهوم؛ لأن شارل موريس يقصد بالتداولية « **علم علاقات الأدلة بمتداوليها (مستعمليها)** ».[1] وهو المفهوم الذي

[1] ينظر الفصل المتعلق بالمصطلح.

[2] سليم أودينة، فلسفة التداوليات الصورية عند يورغن هبرماس، ص 27 .

استثمره لسانيون من بعده مثل: كاترين أوريكسيوني "c. k. orecchioni"... وكلهم اتفقوا على دراسة البنود الآتية التي في رأيهم ترصد التداولية، وهي التي تسمى اليوم بالإشاريات:

أ ــ المعينات (les deixis): " وهي الضمائر، وأسماء الإشارة، وأداة التعريف.

ب ــ الزمان: الزمان النحوي (الماضي والمضارع والأمر).

ج ــ المكان: كبعض ظروف المكان: هنا، وهناك أو قرب، وبعد، وأمام وخلف، وبعض التعابير المكانية الأخرى، سواء أكانت مكانية بنفسها، أو قامت مقام المكان (السينما، السوق، ونحو، واتجاه...).

د ــ الألفاظ العاطفية والقيمية: سواء أكانت أسماء أم صفات أم أفعالا، فألفاظ مثل: مهرج مسلم، وكافر... وأحب، وكره، وتمنى.. تدل على عاطفة وحكم قيمة".

هـ ــ تعابير الجهة: وهي جهة الضرورة والإمكان، وجهة المعرفة، وجهة الفعل وجهة الكينونة والظهور. "[2]

1 ــ ب ــ 4 ــ المقصدية:

التأثير الذي يسعى إليه المخاطِبُ على جملة متلقيه لا يحصل إلا بتوفر المقصدية، التي تعني حسب مفتاح « **الدلالة والفهم؛ فالدلالة تعني ضرورة قصد التواصل من قبل المرسل، والفهم يعني الاعتراف من قبل المتلقي بقصد تواصل المرسل** ». [3]

1 ــ ب ــ 5 ــ قواعد المحادثة:

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، ص 138، وآن رابول وجاك موشلار،التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، دار الطليعة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م، ص 29.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص137، 138. وفيما أورده نظر؛ لأن الإشاريات عند غيره خمس هي: الإشاريات الشخصية، والزمانية، والمكانية، والاجتماعية، وإشاريات الخطاب.

[3] المصدر نفسه، ص 140.

كما وضع فلاسفة اللغة العادية قواعد أو قوانين نجاح الكلام أو فشله، فسمى سورل هذه القواعد [شروط النجاح]، وسماها كرايس [قواعد المحادثة]، وسماها ديكرو [قوانين الخطاب].

ولخص (سورل) شروط النجاح في أنواع، هي:

أ ــ الشروط التحضيرية: " مثل امتلاك الأهلية، إذ لا يمكن ــ مثلا ــ أن يأتمر عقيد في الجيش بأوامر رائد يمتثل لها وينفذها... فسياق الكلام والأهلية يتضافران لجعل الكلام فعالا وذا معنى أو يجعلانه لاغيا وغير وارد ".

ب ــ شرط الصدق: ومعناه أن لا يقول المتكلم إلا ما هو مؤمن به.

ج ــ الشروط الجوهرية: ويمكن تلخيصها في صدق المقاصد والنوايا، كأن لا يقول المتكلم ما يناقض معتقداته ورغباته. [1]

أما قواعد المحادثة الخاصة بكرايس فيتلخص محتواها في أنه ولتأويل قولٍ ما يجب معرفة ما يلي:

أ ــ معرفة السياق اللغوي وما فوق اللغوي.

ب ــ فهم معنى الجملة المنطوقة.

إلا أن أهم قاعدة في المحادثة عنده تتمثل في [**مبدأ التعاون**] [2]، الذي يعد من أهم المبادئ التي تهتم بها التداولية؛ لأنه مهم في إنجاح المحادثة، وله أربع مبادئ فرعية (مسلمات) هي:

أ ــ **مبدأ الكمية** : (وعند آخرين الإخبارية)، ويقصد به تجنب الثرثرة عند المحادثة، وقول ما هو مفيد ليس غير، ويترجم عادة بـــ (مسلمة) الكم.

---

[1] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[2] ومن فوائده كذلك أنه مبدأ مساعد على حل مشكلة سوء فهم مقاصد الآخرين، ويساعد على توضيح مقاصدنا بدقة للآخرين.

ب ــ مبدأ الكيفية: (ويسميه آخرون قانون الصدق)، والذي يترجم عادة بـــ (مسلمة) الكيف، ويقصد به أن يكون السائل يريد ــ صادقا ــ أن يعرف الجواب، وأن يجيب المسؤول بصدق.

ج ــ مبدأ الترابط : مبدأ المناسبة /العلاقة، والذي يترجم كذلك بـــ (مسلمة) الملاءمة، ونص قاعدته: لتكن مشاركتك ملائمة.

د ــ مبدأ الهيأة: ويترجم أيضا بـــ (مسلمة) الطريقة أو الجهة، وهو " ينصّ على الوضوح في الكلام ".

ويتفرع بدوره إلى ثلاث قواعد فرعية هي:

د ــ أ ــ الابتعاد عن اللبس بتجنب الغموض.

د ــ ب ــ تحري الإيجاز.

د ــ ج ــ تحري الترتيب.[1]

هذه أبرز المفاهيم التي رأى مفتاح أنها تخدم منهجه التكاملي من النظرية التداولية، وقد وظف بعض مفاهيم المنهج التداولي لأنه خير ممثل لما يسميه هو اللسانيات المرنة (soft linguistics) تلك النظرية المتفرعة والممتدة عن اللسانيات الصارمة (hard linguistics).[2] التي تتمثل في الجهود السوسيرية والبنوية.

وظف مفتاح مقولات هذا التيار كذلك لأن « **المنظور التداولي ضمن دراسة الخطاب أكثر تخصصا، حيث يميل إلى التركيز خصوصا على مميزات ما لم يتم قوله وما لم يكتب (بالرغم من إيصاله) ضمن الخطاب المراد تحليله. ولكي ننجز تداولية خطاب معين، علينا تخطي الاهتمامات الاجتماعية الابتدائية للتفاعل وتحليل المحادثة، والنظر خلف الأشكال والبنى الواردة في النص، والتركيز حثيثا على مفاهيم نفسية مثل المعرفة**

[1] المصدر السابق، ص 141. ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 35.

[2] ينظر: محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 91، 92.

الخلفية والمعتقدات والتطلعات. ففي تداولية الخطاب نكون مجبرين ــ لا مخيرين ــ على استطلاع ما في ذهن المتكلم أو الكاتب ».[1] فحاول البحث استثمار هذه الخصيصة بالبحث عن ما لم يتم قوله وما لم يكتب بالرغم من إيصاله في قصيدة ابن عبدون، بالبحث عن دلالات بعض الأصوات والحروف وآثارها النفسية، واستقراء ما كان يدور في ذهن ابن عبدون .[2] وهذا العمل شاق ومُجهِد، ويحتاج إلى أدوات تأويل ذات فعالية كبيرة، يعتقد مفتاح أن التداولية تمتلكها.

أما تجريب أدوات التداولية على النص الشعري غير مشهور ولا متداول، ومحفوف بجملة من المزالق في ظل تعقيد هذا النوع الأدبي وتداخل مستوياته وشدة تعالقها بعضها مع بعض، وهذا أمر ــ إن نجح فيه مفتاح ــ فهو دليل كبير على قدرة هذا الباحث العربي على مقارعة أعتى النظريات ، وترويضها لتكون منهجا ملائما لتحليل أعتى الخطابات الشعرية في ظل مبادئها اللسانية.

2 ــ التيار السيميائي (السيميوطيقي):

2 ــ أ ــ لمحة عن التيار السيميائي:

السيميائية نظرية حديثة تعكف على دراسة كل أنساق العلامات التي يتحقق التواصل بين الناس بواسطتها، ومنهج معرفي هدفه تتبع الحقائق في مختلف المجالات التي توظف فيها الأنظمة العلامية؛ اللفظية منها وغير اللفظية.

تطورت النظرية السيميائية كثيرا منذ الجهود الأولى لشارل سندرس بيرس " CH. S . PEIRCE" وحتى ألكيرداس جوليان كريماص "A.j.Greimas"، وصنعت لنفسها جهازا من المفاهيم والإجراءات المعينة في تحليل مختلف أنواع الخطابات البشرية؛

---

[1] جورج يول، التداولية، ص 128.

[2] ينظر: في سيمياء الشعر القديم، من ص 27 إلى 35 ، في بحثه المتعلق بالمواد الصوتية وعن القيمة التعبيرية للحروف ومصادرها المختلفة، خصوصا العربية منها كما عند ابن جني في " الخصائص ".

خصوصا السردية منها التي كانت الانطلاقة الحقيقية لهذه المدرسة، والتي بفضلها أخذت مكانة مرموقة في ساحة الدراسات الأدبية والنقدية.

يرى محمد مفتاح في كريماص ومدرسته أهم ممثل لهذا التيار، ويرى فيهم موقفا وسطا بين النظريات التي غالت في دراسة الخطاب الشعري؛ وتلك التي أقصته ورأته عبثا (أوستين وسيرل). وذلك لأنهم حاولوا تعميم منهجيتهم السيميائية وأدواتها نحو تطبيقها على الخطاب الشعري، فنجد أنهم بحثوا فيه وفي خصائصه « **فأنجزوا ملفات أو كتبا قائمة الذات في هذا الشأن، إلا أنهم تفطنوا إلى صعوبة استخلاص مميزات خاصة بالخطاب الشعري، وأرجأوا الأمر لاستخلاصها إلى أن تتقدم الدراسات اللسانية والسيميوطيقية. والحق، إن هذا موقف منهاجي واضح ومقبول، لأن المناهج الوضعية ــ في أوضاعها الراهنة ــ يتأبى عليها كثير من ظواهر النص العادي واللاعادي** ».[1]

ضمّت تلك الملفّات وكتاب " **المعجم المعقلن** " جهودا معتبرة ــ على الرغم من قلّتها ــ حيث اعتنوا بتبيين عدّة خصائص للخطاب الشّعري : كالموسيقى والإيقاع، ومستوى التركيب، والتشاكل، والاستعارة، والانزياح، والمرجعية الداخلية، واقتراحات لكيفية القراءة والتأويل... وقلّة هذه الإجراءات المخصّصة للخطاب الشعري تعود إلى اقتناع هذا الاتجاه بعدم وجود جنس أدبي نقي تماما، ولذلك قد نجد خصائص نثرية في الشّعر كالسّرد، وبالتالي نعالجها بإجراءات نثرية، ومع هذا فقد اعترف كريماص بوجود ثغرات في هذه الجهود ورأى أن الاعتماد عليها يجب أن يقابل بحذر شديد.

كما استحضر البلجث ضمن هذا التيار جهود جماعة "مو" (m) البلجيكية، من خلال كتابها " بلاغة الشعر" ، وعدّه مفتاح تفصيلات مفيدة لما جاء في ملف ألجيرداس جوليان كريماص وجماعته وامتدادا لمقولاته ، وجهود "ميكائيل ريفاتير" في كتابه " سيميوطيقا الشعر ".

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص95.

وعلى الرغم من الاختلافات العديدة الموجودة بين الاتجاهات السيميائية إلا أن الباحث لاحظ وجود قواسم مشتركة بينها وهي:

ـــ قراءة النص الشعري من وجهي التعبير والمضمون.

ـــ تعدد قراءات النص الواحد بناء على تطبيق مفهوم التشاكل.

ـــ النص الشعري لعب لغوي.

ـــ النص الشعري منغلق على نفسه، له عالمه وحياته ا لخاصان به، فلا يحيل على الواقع إلا ليخرقه.

ـــ جدلية النص والقراءة."[1]

وظف مفتاح المنهج السيميائي الممثل بنظرية كريماص لأنها نظرية تمتاز بشموليتها « **شمولية في التصور، وشمولية في التحليل** » [2]، مع قدرتها كذلك على التحاور مع نظريات أخرى تتقاسم معها موضوعا واحدا للدراسة. ولأنها تتميز « **بقدرتها ـــ نظريا وتطبيقيا ـــ على معانقة خطابات أخرى غير الخطاب السردي، فرغم أن المنطلق الرئيس في مسيرة لكريماص كان هو الحكايات الشعبية (النص السردي بصفة عامة) فإن نظريته صالحة للاقتراب من ظواهر نصية بالغة التنوع: النصوص القانونية، الظواهر الاجتماعية، الإشهار، الخطابات السياسية...** » [3]، وذلك لأن السيميائية عند ألجيرداس جوليان كريماص انبنت على أنها نظرية لكل اللغات والأنساق الدالة، وأن السردية تتجلى من خلال خطابات ذات طابع تصوري: (الحكاية الشعبية، الرواية...)، أو الخطابات التجريدية (النصوص القانونية، والنصوص السياسية...)

استثمر مفتاح شمولية السيميائية في التحليل لجعلها اللبنة الأساسية لمنهجه التكاملي، وقدرتها على التحاور مع نظريات أخرى ليربط جسورا بينها وبين التداولية والشعرية،

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 12.

[2] سعيد بنكراد، السيميائيات السردية مدخل نظري، منشورات الزمن، الرباط، المغرب، سلسلة كتاب الجيب، عدد(29)، 2001م، ص 12.

[3] المرجع نفسه، ص 12/ 13.

وقدرتها على معانقة خطابات غير السرد لتطبيقها على الخطاب الشعري ذو الطابع التجريدي التصويري بل وحتى سرديتها، لأن قصيدة ابن عبدون إذ تحكي معاناة بني المظفر الأندلسيين وصراعهم مع الدهر فقد اشتمت على السرد.

2 ــ ب: العناصر التي استثمرها البحث من التيار السيميائي:

إن للتيار السيميائي منظومة مصطلحية ثرية تفيد الباحث في الدلالات النصية، وقد استثمر مفتاح منها:

2 ــ ب ــ 2 ــ المربع السيميائي:

وهو الصياغة المنطقية للعلاقات الأولية للدلالة القاعدية من خلال مقولات التناقض والتقابل والتلازم هدفه عموما تنظيم الدلالة، كذلك و« **لتحقيق النوايا وترجمتها إلى عمل وفعل وتفاعل يحتاج إلى أرض تكون ميدانا تتموقع فيه الأطراف المتواجهة والمتجاذبة، ذلك الميدان هو المربع السيميائي** » .[1] ولأهميته الدلالية نلاحظ أن هذه الدراسة جاءت زاخرة بمربع كريماص السيميائي في قسمها التطبيقي.

2 ــ ب ــ 2 ــ اللعب اللغوي والتناص:

كما استفاد محمد مفتاح من كتاب " سيميوطيقا الشعر " لـــ "ميشال ريفاتير"، ورأى بأن ثنائية (الواقع الداخلي / الواقع الخارجي) من أهم مفاهيمه والتي يعني بها أن الخطاب لا يحتاج إلى أشياء خارجة عنه (واقع خارجي) لتثبت صدقه؛ وإنما صدقه في ذاته؛ يقول عن الخطاب: « **فصدقه مستمد من ذاته وليس من خارجه، فاللغة توّلد اللغة، واللغة تحيل على اللغة، وبناء على المبدأ النظري العام يجعل جوهر العملية الشعرية شيئين متلازمين: اللعب اللغوي والتناص** ».[2]

[1] محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثالثة، 2006، ص 09.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص11.

إذن؛ فاللعب اللغوي والتناص ــ وهي أهم المقولات التي اعتمدها مفتاح في إستراتيجية القراءة ــ مستمدة من هذا التيار إضافة إلى مفهوم التشاكل ذو القدرة الكبيرة على تجميع مختلف العلامات.

2 ــ ب ــ 3 ــ المقصدية:

تتلخص ــ حسب النظرية السيميوطيقية ــ في العلاقة بين « **ذات ← موضوع، بمعنى أن هناك توقا ونزوعا من الذات نحو الحصول على موضوع ذي قيمة، فهي ــ بهذا المفهوم ــ أساس كل عمل وفعل وتفاعل، وهي شرط ضروري لوجود أية عملية سيميوطيقية؛ فالذات لا تحصل على موضوعها إلا بحركة ما قد تكون عسيرة أو يسيرة، وتتضمن هذه الحركة أطراف نزاع قد تكون متأبية أو منقادة. ومهما يكن الأمر، فإن هناك تفاعلا يجري في فضاء ــ وزمان معينين ويتحقق فيهما عبر العلامات اللغوية** ».[1] ويلخص مفتاح محتواها في أنها:« **كل ما يمكن ويحكم من معتقدات ومقاصد وأهداف فعل الكلام الصادر من متكلم إلى مخاطب في مقتضيات أحوال خاصة** ».[2]

3 ــ التيار الشعري:

3 ــ أ ــ لمحة عن التيار الشعري:

إن الشعرية من النظريات الحديثة التي ظهرت في الساحة الأدبية والنقدية العالمية، وهي « **امتداد لحلم النقاد القديم ورغبتهم في إرساء قواعد أدبية ونقدية تضاهي في دقتها القواعد والمعادلات العلمية** ». [3]

---

[1] محمد مفتاح، دينامية النص تنظير وإنجاز، ص 08، 09.

[2] المرجع السابق، ص 193.

[3] نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر، الطبعة الأولى، 2003م، ص 378.

عُدّ رومان جاكبسون رائد الشعرية الحديثة، بجهوده الكبيرة وآرائه الكثيرة حولها خصوصا بكتابه " اللسانيات والشعريات " وعده مفتاح أبرز من يمثل هذا الاتجاه، ولذلك اهتم كثيرا بأعماله وعمق دراسته فيها، وهو الأمر الذي مكنه من نقدها ووصف بعضها بالاختزال، ونقده كذلك في وضعه ثنائية تقابلية متناقضة بين (الشعر/النثر)، أي أن جاكبسون يعتقد بوجود جنس أدبي نقي وهذا ما يفنده الواقع، وحتى هذه الثنائية نفسها، وهو أمر تنبه له بعضهم في وجود تقاطعات بينهما.

واستفاد كذلك من جهود جون كوهن "j. cohen" والذّي يرى أنه ينطلق دوما من مسلمة أن الشّعر يقوم على المجاز وبخاصة الاستعارة ومن ثمّة فإنّه يقوم على خرق العادة اللغوية (الانزياح)، واقتصر على ما يسمّى بالنظرية التفاعلية في الاستعارة وليست إلا إحدى النظريات فيها...

كما استفاد من جان مولينو "J. MOLINO" وجويل تامين "J. TAMINE" اللذين اتخذا من اللسانيات المنهج الوحيد والأنجع لتحليل الخطاب الشّعري؛ فترجما مفاهيم شعرية قديمة وأعادوا النظر فيها وراجعا عديد المفاهيم البلاغية كذلك حتى تكون دقيقة وذات قدرة وصفية.

لقد وظف مفتاح النظرية الشعرية لأنها تخضع لنظرية الانبثاق، أي انطلاقها من النص ذاته كونه بنية منفتحة، ولذلك فقد « **اكتسبت تعددية في استنباط القوانين وإثراء لمجالها، ذلك أن النصّ مكتوم في الكلام، ولاستنطاق هذا النصّ لابدّ من طرائق تختلف من باحث لآخر، ولهذا يصبح الحديث عن استنطاقات عدّة لا استنطاقٍ واحدٍ** ». [1] ومن ثمة البحث عن فرادة قصيدة ابن عبدون عن غيرها والبحث في إبداعيتها من وجهة نظر مفتاح التي اقترحها، وإمكانية قراءتها بطرق مختلفة غير إستراتيجية التناص وهو ما أكد عليه الباحث في مقدمته.

[1] حسن ناظم، مفاهيم الشعرية: دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م، ص 35.

ويؤكد كثير من الباحثين أن غياب الشعرية في مثل هكذا دراسات « **يؤدي إلى مزالق ومخاطر كثيرة، فليس بوسع الناقد أن يمارس حرفة علمية ومنهجية حينها، كما أنه ــ بالتأكيد ــ سوف يكون ذا أحكام مسبقة لا تستند إلى أسس منهجية ــ وسيكون النقد في حالة غياب الشعرية ــ مجموعة بديهيات عقلية كامنة وغير عملية** »[1] وهذه المزالق جعلت مفتاح واعيا تمام بأهمية هذه النظرية في التحكم في زمام البحث وعدم الخروج عن مساره.

3 ــ ب : العناصر التي استثمرها الباحث من التيار الشعري:

للشعرية مفاهيم لا يمكن تجاهل قيمتها الإجرائية، تضرب جذورها في عمق تاريخ الممارسة النقدية الإنسانية، وقد استعان بها مفتاح في بناء تحليله؛ منها:

3 ــ ب ــ 1 ــ الانزياح: إن المألوف والمعتاد من القول لا يثير في المتلقي أي إحساس أو تأثير، أما الانزياح عن المعتاد فهو وسيلة المبدعين لهزّ يقظة المتلقين، وعلمية اختيارهم للألفاظ في موقف ما تستوجب منهم أن يكون اختيارهم هذا مخالفاً لما اعتاد عليه الناس حتى يحدث الصدمة المطلوبة التي أشار إليها جاكبسون، ويكون على وجهين:

ــ الأول: انزياح على المستويات اللسانية، خصوصا النحوي منها.

ــ الثاني: على المستوى الصُّوَرِي كالاستعارة والمجاز والكنايات.

لقد استثمر مفتاح كثيرا الوجه الثاني في تحليله بدراسة استعارات ابن عبدون وعلاقتها بالتناص وقراءته. كما **تقوم نظرية الانزياح عند (كوهن) على مجموعة من الثنائيات؛ هي في الأصل إستراتيجية الشعرية البنيوية، وهي تهيمن على كتابيه "بنية اللغة الشعرية" و"اللغة العليا"، ومن بين هذه الثنائيات:**

1 ــ ثنائية (المعيار/ الانزياح): (l' ècart\ la norme).

2 ــ ثنائية (الدلالة التصريحية/ الدلالة الحافة): (denotation\ connotation)

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كما أن للإستراتيجية الشعرية هدفاً واحداً حسب (كوهن) وهو استبدال المعنى وتحويله والشاعر بذلك يؤثر في الرسالة لأجل تغيير اللغة « فهدف كل شاعر يكمن في تحقيق تحول اللغة الذي هو الوقت نفس تحول ذهني ».[1] واستغلها مفتاح في تقسيمه القصيدة إلى ثلاث بنى هي (التوتر ــ والاستسلام ــ والرجاء والرهبة) مقابلة لرحلة الإنسان في الدنيا (بداية ــ ووسط ــ ونهاية).

إن التشاكلات الصوتية، وضم الألفاظ المشتركة والمترادفة والألفاظ المتجانسة في جملة واحدة عملية تتحاشاها اللغة العادية، بينما تستعملها اللغة الشعرية إلى أقصى الحدود، وهي لا تدلّ على اللعب اللغوي أو على عناصر ثانوية لا قيمة لها بقدر ما تنتج فينا تأثيراً دلالياً، ويفرز علامات مثيرة وتوازيات صوتية وتشاكلات دلالية تفسر علاقة الدوال بالمدلولات وشبكتها في القول الشعري، فالشاعر ــ وهو يفعل كل ذلك ــ « يركب أجزاء فوق أجزاء، ونظاماً على نظام ».[2]

ــ الاستعارة والمجاز: لدورهما الكبير في خلق التشاكلات والانزياحات والدلالات.

ولا ننسى كيفية القراءة وكثيرا من خصائص الخطاب الشعري.

*****

إن للمناهج السابقة تقاطعات إجرائية تتجلى في تواتر ثمانية عناصر حسب محمد مفتاح، وقد رتبها وفق مستويات علمية متبعا مبدأ التدريج والتكامل حتى يكون التحليل متسقا ومنسجما؛ حيث انطلق من أبسط العناصر إلى أعقدها بحيث يخدم كل عنصر الذي يليه؛ وهي:

[1] جون كوهين، بناء لغة الشعر، ترجمة وتعليق أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، دط، 1990م، ص 196.

[2] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، عدد (164)، أغسطس 1992، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 136.

1 ــ التشاكل والتباين :[1] لإبراز قيمة الجانب المعجمي استدعى دراسة التشاكل ليقف المرء على قيمة تشاكل الكلمة والصوت وكيفية اللعب اللغوي بهما.

2 ــ الصوت والمعنى : ناقش الباحث عددا من الآراء الفلسفية والبلاغية واللسانية العربية والغربية وانتهى إلى تبني الرأي القائل بالقيمة التعبيرية للأصوات.

3 ــ المعجم : يعد بؤرة أي خطاب شعري، والباحث يرفض النظر إليه على أنه مجرد قائمة من الكلمات المعزولة التي يتوسل بها تصنيف الحقول الدلالية استنادا للعلميات الإحصائية عازلة مستويات الخطاب الشعري، بل يرى إعادة الربط بينها.

4 ــ التركيب: يُجزّئ مفتاح التركيب إلى نوعين:

أ ــ التركيب النحوي.

ب ــ التركيب البلاغي خصص له الفصل الخامس من الكتاب.

ففيما يخص التركيب النحوي، فقد رَكِب مفتاح موجة أصحاب النحو الوظيفي المنتشر في المغرب بقوة، يقول: « **وقد اقترح الباحثون المحدثون نظريات لإعادة صياغة قواعد للعربية تناولت المقولات النحوية القديمة مثل: الاستفهام والمبتدأ والخبر والتقديم والتأخير والحال والتمييز** » .[2] ومن أهم مفاهيم هذا النحو: البؤرة (topic)، والتعليق (comment)، والانفصال (dislocation).[3]

تناول الباحث في فصل التركيب النحوي قضايا: (التباين ، والتشاكل، والأقرب أولى، والاقتراب اهتمام، والزيادة في المبنى زيادة في المعنى، والتقديم، بنية التعدي).

5 ــ التركيب البلاغي: ويتجلّى في الاستعارة، والكناية، والمجاز.

---

[1] سيأتي الحديث عنه في الفصل الخاص بالمصطلح.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 69.

[3] ينظر كتب أحمد المتوكل وهو من المغرب ومعاصر لمحمد مفتاح مثل كتابه: " الوظائف التداولية في اللغة العربية ".

أما (الاستعارة) فقد شغلت الدارسين منذ أحقاب، وعالجها مفتاح على ضوء تيار اللسانيات البنوية ومن أهم ممثليه: ياكوبسون، وتامين، ومولينو... والتيار اللساني الجشتالي الذي من ممثليه: جونسون، وبالمر، ولاكوف... وقد عرض الباحث أبرز نظريات الاستعارة، وهي:

1 ــ النظرية الإبدالية (أو التشبيهية) وتنص على أن الاستعارة لا تتعلق إلا بكلمة معجمية واحدة. وأن كل كلمة يمكن أن يكون لها معنيان: حقيقي، ومجازي، وأن الاستعارة تحصل باستبدال كلمة حقيقية بكلمة مجازية، وأن هذا الاستبدال مبني على علاقة المشابهة الحقيقية أو الوهمية. ففي مثل: (رأيت أسداً) و (عاشرت بحراً) فإن لكلمتي (أسد، وبحر) معنيين: حقيقي مستغنى عنه، ومجازي وهو المطلوب.

2ــ النظرية التفاعلية (أو التوترية) وترتكز على أن الاستعارة توجد في أكثر من كلمة واحدة، وأن الكلمة أو الجملة ليس لها معنى حقيقي محدّد، وإنما السياق هو الذي يعطيها معناها، وأن الاستعارة لا تحصل في الاستبدال وإنما تحصل من التفاعل بين بؤرة المجاز والإطار المحيط بها، وأن المشابهة ليست العلاقة الوحيدة في الاستعارة، فقد يكون هناك علاقات أخرى. وقد استخدم البلاغيون العرب مفاهيم إجرائية تقرّبهم من النظرية التفاعلية الحديثة، من مثل: القرينة، والترشيح، والتجريد، والتعلق، والادعاء. فالسكّاكي ينطلق من مفهوم (الادعاء) ليؤول على ضوئه الاستعارة المكنية.

3ــ نظرية التحليل بالمقوّمات: وقد تبنتها البنيوية التي يمثلها هلمسليف، وياكوبسون، وغريماس، وغيرهم ممن استقوا منهجيتهم من دراسة علم وظائف الأصوات، ومن المسلّمة القائلة بثنائية ظواهر الطبيعة.

4ــ النظرية العلاقية (أو التركيبية)، وهي تيار غربي بلاغي معاصر، انتقد أصحابه البلاغيين الذين اهتموا بمعنى الاستعارة دون تركيبها، ويمثلهم "بروك روس" " Brooke Rose" الذي نظم كتابه بحسب انتماء الاستعارة إلى أقسام الخطاب المختلفة: الفعل، والوصف، والظرف، والاسم، والنداء.. وقد سمّى البلاغيون العرب نوعاً من الاستعارة

باسم (الاستعارة التبعية) وهي التي يكون فيها المستعار فعلاً كما في (عضّنا الدهر بنابه)، أو اسماً (نطقت الحال)، أو حرفاً (علي بنعمة)، أو يا النداء (يا رجل أقبل)، أو الإضافة (وعرّي أفراس الصبا)، أو الجملة الحالية (كالحادي وليس له بعير).

5 ــ النظرية الغشتالية: عند لاكوف" Lakoff"، وجونسون "Mark Johnson"، وبالمر "T. Ballmer"، أما لاكوف وجونسون فقد انتقدا النظرية الوضعية للاستعارة في كتابهما المشترك (الاستعارات التي نحيا بها) عام 1980، لأنها تنكر وجود أنواع من الاستعارة بدعوى أنها ميتة، وتتخذ (الغرابة) مقياساً، فإذا لم تحصل الغرابة في التركيب فليس من استعارة. ويضع المؤلفان (الاستعارة الاتفاقية) بديلاً، وهي ثلاثة أنواع:

أ ــ استعارة موجهة مكانياً: (المحاضرة ذات مستوى رفيع/ منحط)..

ب ــ استعارة تشخيص المعاني المجردة: (نسير نحو السلام)، و(لا نحتمل ويلات الحرب).

ج ــ استعارة بنيوية/ معجمية: (النظرية البنائية).

وأما النظرية الغشتالية عند الألماني " توماس بالمر" الذي وضع بحثاً بعنوان (الجذور المعرفية للنماذج العليا والرموز والاستعارة والنماذج والنظريات) عام 1982 انتقد فيه مناهج اللسانيات، فوضع الاستعارة في مركز وسط بين المعرفة الخفية والمعرفة العلمية، منطلقاً من شرط قاعدي للاستعارة هو مبدأ (الانسجام) الذي يتيح للمرء أن يوجه نفسه بنجاح في هذا العالم الذي يحتوي على كثير من مظاهر الانسجام، مما يسمح بالتعبير عن شيء بمفاهيم شيء آخر. فطبيعة الاستعارة تسمح بتجاوز المعاني المعجمية الاتفاقية، ونقل مظاهرها إلى ميادين تطبيقية... [1]

[1] محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، من ص 57 إلى ص 59 نقلا عن محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، من ص 81 إلى ص 111.

[1] انظر الفصل الخاص بالمصطلح.

6 ــ التناص.[1]

7 ــ التفاعل : من المفاهيم التداولية التي جذبت الباحثين ومنهم مفتاح الذي يقترح تحديدا إجرائيا له بعد قراءة معمقة له في التيارات التداولية والتوليدية والسردية؛ يقول: هو « **التأثير المتبادل بين مرسل ومتلق في حالة حضور أو غياب، باستعمال الأدلة اللغوية، مطابق لمقتضى المقام والمقال** ». [2]

8 ــ المقصدية: يرى مفتاح أن اللغة تتوزع على محورين:

ــ محور أفقي: يتمثل في الأصوات والمعجم والتركيب والوظائف اللغوية، ويتصف هذا المحور بأنه غير قار متشكل في هيآت مختلفة.

ــ محور عمودي: يتمثل في " المقصدية " الاجتماعية التي تتحكم في عدم استقرار المحور الأفقي وتساهم في تنوع تشكله.

ثم يتعرض للمقصدية بالمناقشة والانتقاد عند فلاسفة اللغة ويصنفهم إلى تيارين: التيار الأول يمثله (كرايس) ومدرسته، والتيار الثاني يمثله (سورل).

ورغم موقفه من مفهومها عندهم يقول: « **إننا لا نرفض المقصدية جملة وتفصيلا ولكننا لا نجعلها هي العلة الأولى والأخيرة في إنتاج الخطاب وتفسيره؛ وإنما نعتبرها طرفا لا يكتسب معناه إلا بمقابله وهو المجتمعية** ».[3]

وهذه العناصر المستمدة من تيارات معرفية عديدة ومختلفة، وقد تكون حتى متناقضة في بعض أوجه الدراسة تكفي في نظره لخدمة الإستراتيجية التي رأى أنها ناجعة لقراءة رائية ابن عبدون والمتمثلة في التناص.

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 138.

[3] المصدر السابق، ص 166.

خامسا: أسباب اختيار المنهج التكاملي:

لطالما كان محمد مفتاح يهدف من خلال الجهود المقارنة للوصول إلى « **منهاجية نستطيع أن نطبقها على أي نص من الشعر العربي، سواء أكان جاهليا أم معاصرا، أكان قصيدة أم مقطوعة، أكان شعرا مطابقا للتواطؤ الموروث أم كان خارقا له، بحيث يكون عبارة عن كلمات مبعثرة و/ أو دوائر ومربعات ومثلثات، أو يكون كلمة واحدة مكتوبة بكيفية ما مستغلة لعنصر الفضاء مثلما نجد في الشعر المجسم، أو يكون عبارة عن أصوات مبعثرة خلال فضاء** » .[1] ويشترط مفتاح في هذه المنهاجية أن تكون ملائمة وشاملة، وأن تكون فروضها تأويلية وجيهة؛ نستطيع تحريك بعض مسلماتها ومفاهيمها بحسب كيفية النص الذي يواجهنا، ولذلك يفضل المنهج التكاملي.

يرى الباحث أن نظرية التلقي[2] اليوم لها ثلاثة أسئلة هي: ماذا يقصد المؤلف؟ كيف يشتغل النص؟ كيف يتلقى النص؟ يقول:« **وقد عبّرت عن السّؤالين الأوّلين بالمقصدين: مقصد المؤلّف ومقصد النصّ، وعبّرت عن السّؤال الأخير بالإستراتيجية. إن الممارسة الإبداعيّة والاجتماعية والأهداف الدّفاعية الإقناعية والإمتاعية لأي خطاب تفرض النظر إلى الأطراف الثلاثة** » .[3] ولذلك يقترح مفتاح التناص إستراتيجية (intertextuality stratégie) نقرأ بها قصيدة ابن عبدون.

إن الدارس لا يرى في المناهج التقليدية أحقية وأهلية لتقلد هذه المهمة، ولذلك شمّر عن ساعد الجد بحثا عن المنهج الملائم وذلك لّما أدرك عيوب المناهج الأخرى، فله مع المنهج السيميائي تجربة في كتابه "في سيمياء الشعر القديم"، حين طبقه على القصيدة النونية

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 91.

[2] وهي نظرية في غاية الأهمية، لأنها متحكمة في المنهج التكاملي ومتصرفة في أدواته التي تغطي القراءة الكاملة للخطاب مهما كان نوعه، ولذلك يعتني بها عديد من النقاد ويجعلونها من أولويات الدراسة والبناء العلمي للأعمال النقدية.

[3] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 77.

لأبي البقاء الرندي الأندلسي، ومتح منه أربع عناصر فقط هي (الأصوات والمعجم والتركيب بشقيه النحوي والبلاغي والمقصدية).

لم يعتمد مفتاح على المنهج السيميائي وحده في التحليل الذي عده ـــ وغيره ـــ أشمل منهج لمقاربة الخطابات الإنسانية المختلفة من غيره، إلا أنه لم يسلم من ثغرات، ولذلك عمل جاهدا على تلافي القصور الذي يعاني منه كل منهج ابتداء من السيميائية، في ظل انتشار مناهج معاصرة لها لا تقل أهمية عنها مثل التداولية والشعرية، تتناول مواضيع لا تتناولها السيميائية، وذلك بالجمع بين ثوابت هذه المناهج ومكاسبها التي أثبتت جدارتها بالتطبيق وهذا هو المنهج التكاملي الذي يهدف إلى محاولة الوصول إلى تحليل نموذجي للأعمال الإبداعية، ولذلك فهو المنهج الأصلح حاليا لتقلد هذا الدور الخطير، نظرا للميزات والخصائص السابقة ، ونظرا للعيوب والثغرات التي صارت ظاهرة على المناهج القديمة.

يعيب الدارس على اتجاه كريماص قصور النظام العاملي وبعض الأدوات الأخرى، بعجزها عن مقاربة وتحليل كافة الخطابات الأدبية. وأما جماعة " مو" البلجيكية (m)، فمأزقها في نظره يتمثل في عدم قدرة بلاغييها على الحسم في القوانين المميزة للخطاب الشعري إضافة إلى عدم وضوح حدود الشعر والنثر عندهم، أما (ميكائيل ريفاتير) فيؤاخذه في أنه لا يجد عنده خصوصية للخطاب الشعري، ومبدأ (الداخل والخارج) الذي تباهي به موجود في كافة الخطابات لمن ينعم النظر، ويؤاخذه على انبهاره اللامحدود بالسيميائية، وعلى اختزاله الخطاب الشعري في اللعب بالكلمات والتناص فقط، وخلطه الكبير بين الشعر وبقية الخطابات التخييليّة.

ويمكن أن يضاف إلى جملة ما قاله الباحث في نقده للسيميائيات أن (تزفيتان تودوروف) و(أوزفالد ديكرو) عرضا في معجميهما المشترَك:" المعجم الموسوعي لعلوم اللسان " (1972) مآخذات وانتقادات عديدة توجه للمنهج السيميائي، كما عدّها (رولان بارت) علما غيرَ كافٍ، وأكد (تودوروف) أنها ما تزال في طور تأسيس أصولها المعرفية على أرضية ثابتة، وأنها ـــ مع ما بذل من جهود ـــ لا يمكن الحديث عنها على أنها

بناء علمي متكامل، بل إن السيميائيات تظل مجموعة من الاقتراحات أكثر منها كيانا معرفيا قائما على أساس متين. وفي السياق نفسِه، يرى "مارسيلو داسكال" " Marcelo Dascal" أن السيميائيات ما تزال في مرحلتها الطفولية و لم تتحوّل بعدُ إلى علم قائمٍ على تجانُس منهجي ومعرفي، حيث يقول:" إن السيميولوجيا ما تزال في مرحلة ما قبل الأنموذج من تطورها كعلم".

عِلاوة على هذا، توجه انتقادات أخرى للسيميائية في جانبها التطبيقي؛ كذلك إغْراقها في التجريد والمنطق، خاصة مع مفهوم "المربع السيميائي" (Carré sémiotique)، كما أن جل الدراسات السيميائية تنهج نهجا شكلانيا مستبعدة المحددات الاجتماعية والثقافية وغيرَها. وعليه، تقترب هذه الدراسات جدا من المقاربة البنيوية، خاصة وأنها كثيرا ما تستخدم المصطلحات السوسيرية نفسَها.

إن المنهج السيميائي طُبق ـــ بكثرةٍ – في دراسة العلامات البسيطة، في حين إن العلامات المعقدة والمنطوية على قدْر كبير من الجمال لم تنل حظها الأوفى من المقاربة السيميائية. [1]

كما يعيب على المنهج التداولي ممثلا في (جون سيرل) فيما يعرف عنده بنظرية الأفعال الكلامية، الذي يرى أنه رجل « **ينتمي إلى تيار وضعيّ يقدّس العلم ويرفض ما سواه... وأنه فيلسوف يسعى إلى تفسير الظواهر بقوانين بسيطة ومجردة يرجع إليها إنتاج الكلام وتأويله وأهمها عنده المقصدية** ». [2] وهذا مناف لطبيعة الخطاب الأدبي الحافل بمستويات معقدة وبالتالي تعقيد أدوات تحليله، ثم تركيزه على اللغة العادية دون الخيالية الإبداعية الخاصة جعله يهمل عناصر مهمة في الدراسة ، وهو نتيجة لذلك يدمّر كثيرا مما بناه محللو الشعر مثل التجنيس ودراسة المعجم...

[1] عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، د ط، 2003م، ص 125 ــ 127.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 08.

كما أبعد (أوستين) اللغة الأدبية من مجال تحرياته لأنها غير جدية ومشوشة، يقول أوستين:« **إن المقال الإنجازي يكون فارغا أو خاليا (من المعنى) إذا نطق به ممثل على الخشبة أو أدمج في نص شعري"، و "سورل" تناول مشكل اللغة العادية وغيرها في كتبه: "الأفعال الكلامية" و"التعبير والمعنى" و"المقصدية" وميّز فيها جميعا بين اللغة التي تحيل على الواقع، وبين اللغة التشويشية اللاجدية واللاعادية الإدعائية مثل الخطاب الروائي والمسرحي وأضرابهما** ».[1] وهما إذ يسقطان الشعر من مجال دراستهما؛ يسقطان معه قضايا التشاكل والإيقاع.. وغير ذلك من خصائص الخطاب الشعري.

كما ينتقد بقوة شروط المحادثة التي نادى بها التداوليون؛ يقول: « **إن المبادئ التي وضعها سورل وكرايس وغيرهما لنجاح الخطاب وانسجامه وترابطه وتأويله قد ظهرت ثغراتها على مستوى اللغة العادية والحوار المباشر النزيه، فكيف يمكن لها إذن أن تتحكم في الخطاب الشعري الذي يخرق العرف اللغوي والواقعي** ».[2] وينتقد التقسيم غير المنهجي الذي قدمه سورل لأفعال الكلام.

وبخصوص التيار الشعري يعيب مفتاح على (جون كوهن) مفهومه للاستعارة وعدها بؤرة الخطاب الشعري فقط والتركيز على الانزياح.

أما (جان مولينو) و(جويل تامين) فيسجّل في كتابهما " مدخل للتحليل اللساني للشعر " اضطرابا وانتقائية وتكرارا مخلا بسبب تعصبهما للسانيات التي فشلت حسبه في إعطاء قوانين للإحاطة باللغة اليومية فكيف لها أن تتسنم دراسة وتحليل الخطاب الشعري وإعطاء قوانين للسيطرة على الخطاب الأكثر تعقيدا من اللغة الطبيعية.

ويمكن أن يضاف إلى هذا بأن « **الشعرية علم غير واثق من موضوعه إلى حد بعيد، ومعايير تعريفها هي إلى حد ما غير متجانسة، وأحيانا غير يقينية** ».[3] إذ نراها

---

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 95.

[2] المرجع نفسه، صفحة نفسها.

[3] حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص 35.

تختلف من باحث لآخر في نفس التيار، مضطربة تعريفاتها أحيانا لدى الباحث نفسه نتيجة تنوع الممارسة الشعرية الإبداعية.

تجاوز محمد مفتاح بهذا المنهج التكاملي المركب من السيمائية والتداولية والشعرية محدودية المنهج الأحادي الذي لطالما التصق بالشعر المتمثل في اللسانيات البنوية ورد على أولئك الذين أصروا ردحا من الزمن أنها فقط هي المنهج المناسب لتحليل الخطاب الشعري تبعا لجاكبسون الذي « **يحبذ الدراسة اللسانية للشعر لأن كل بحث في مجال الشعرية يفترض معرفة أولية بالدراسة العلمية للغة، ذلك أن الشعر فن لفظي، وإذن فهو يستلزم قبل كل شيء استعمالا خاصا للغة، مع التركيز على الأصوات ورمزيتها، وباقي مستويات اللغة بما فيها القضايا الدلالية، وعلى التواصل وما يرافقه من وظائف لغوية، وما ارتبط بكل ذلك من قوالب لغوية** ».[1]

ومن أسباب اختياره المنهج التكاملي أنه منهج لا يعد النتاج الفني إفرازا للبيئة العامة، « **ولا يحتّم عليه كذلك أن يحصر نفسه في مطالب جيل من الناس محدود . فالفرد في عصر من العصور قد يعبر عن أشواق إنسانية للجنس البشري كله، ولمشكلات هذا الجنس الخالدة التي لا تتعلق بوضع اجتماعي قائم أو مطلوب، إنما تتعلق بموقف الإنسانية كلها من هذا الكون ومشكلاته الخالدة كالغيب والقدر وأشواق الكمال اللدنية الكامنة في الفطرة البشرية... وهذه وأمثالها لا تتعلق بزمان ولا بيئة، ولا عوامل تاريخية** » .[2] فابن عبدون لم يعبر عن حرب الدهر ومآسيه لبني المظفر فقط؛ بل عبر لنا وأخبرنا أن الإنسانية جمعاء تشترك معا في هذه المآسي ثم النهاية، لا بنو المظفر الأندلسيون فقط، ووضعهم الاجتماعي لا يتعلق بزمنهم وحسب؛ بل نراه في أزمنة وأمكنة مختلفة، لأن التاريخ يعيد نفسه والأيام يداولها الله بين الناس خيرا وشرا.

[1] أحمد مداس، لسانيات النص: نحو منهج لتحليل الخطاب، ص 68 ، 69.

[2] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 253 .

والمنهج المتكامل كذلك « **لا يأخذ النتاج الأدبي بوصفه إفرازا سيكولوجيا محدد البواعث، معروف العلل. فالنفس كما قلنا أوسع كثيرا من " علم النفس " ورواسبها واستجاباتها قد تكون أعمق من هذا الفرد. على فرض أننا وصلنا إلى استكناه جميع البواعث الشخصية في نفس الفنان** ». [1] أي أن آلياته أنجع من آليات المنهج النفسي في الإحاطة بنفسية الباث المبدع، دون أن يفرط في تفسير الرموز التي تتوزع في قصيدة ابن عبدون.

إنه منهج يتعامل مع " العمل الأدبي" ذاته « **غير مغفل علاقته بنفس قائله، ولا تأثرات قائله بالبيئة، ولكنه يحتفظ للعمل الفني بقيمه الفنية المطلقة، غير مقيدة بدوافع البيئة وحاجاتها المحلية، ويحتفظ لصاحبه بشخصيته الفردية، غير ضائعة في غمار الجماعة والظروف التي يحتفظ للمؤثرات العامة بأثرها في التوجيه والتلوين، لا في خلق الموهبة ولا في طبيعة إحساسها بالحياة** ».[2] فخارج النص مثل داخله في الأهمية حيث يتكاملان لنفهم نحن دلالاته، فرائية ابن عبدون حملت في طياتها من التعقيد والحفول بمستويات متنوعة ما حتم على مفتاح اللجوء إلى اللسانيات للإحاطة بداخل الرائية و لم يغفل تأثر ابن عبدون بالحالة التي يمرّ بها الأندلس وحكامه وشعوبه ، وخصوصية شخصية ابن عبدون وظروفه.

وأما عن سبب اختياره لهذه التيارات دون غيرها، بمعنى عدم اعتماده على المنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي في الأركان التي كونت تكامليته. نرى أن مفتاح استغل العلاقة الوثيقة والتقاطعات بين الشعريات والسيميائيات، « **إذ ترجع العلاقة بينهما إلى وجهتين: الأولى تداولية تهتم بالمقاصد الفكرية والعاطفية، وعلاقة هذه المقصدية بأجناس الخطاب وتكوينه، وهو حديث يقود إلى فكرة المعيار في البلاغة القديمة. والثانية: بنائية النص التي تميزها خمس خطوات هي: إيجاد مواد الاحتجاج وترتيبها، وصياغتها لغويا**

[1] المرجع نفسه، ص 254

[2] سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص 255، 256.

صياغة جميلة، ثم ترتيبها في الذاكرة إلى حين العرض، ثم إلقاؤها على المستمعين بطريقة تعبيرية».[1]

أما عن العلاقة بين السيميائيات والتداولية، فالتداولية عدت في بدايتها جزءا من السيميائيات، وامتدادا لها ، لكونها تدرس العلامة كذلك، ولا يتعلق الأمر بمنهج كريماص فقط، لأنه من بين عدة مناهج داخل التيار السيميائي، وبقي الإشكال في العلاقة الفاترة بين التداولية والشعرية حيث حاول مفتاح إيجاد روابط بينهما من خلال هذه الدراسة.

وعن غياب المنهج التاريخي والنفسي والاجتماعي في الأركان، يتاح لكل مدقق في المناهج المثبتة ملاحظة أنها تضمنت في ثناياها أهم مقولاتها ونتائجها وأننا نصل من خلالها إلى نفس نتائجها وأكثر.

إن هذه المناهج الثلاثة متضمنة للنظريات اللسانية النصانية (البنوية) والنفسية والاجتماعية والتاريخية (السياقية) وغيرها.

[1] رابح بوحوش، الشعريات والخطاب، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب، من 11 ــ13 مارس 2003، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ص 68.

سادسا: نقد وتقييم المنهج التكاملي عند محمد مفتاح:

لقد تقبل هذا العمل من طرف الباحثين والقراء في النقد العربي منذ ظهوره بردّات فعل مختلفة ومتفاوتة بين مستبشر متفائل بأفق جديد، وبين ناقم ساخط أصيب بخيبة الانتظار خصوصا على قسمه التطبيقي، وبين متحفظ، وكتبت عنه دراسات وأطاريح ومقالات في هذا الاتجاه أو ذاك تناولته بالتحليل والنقاش، ومنهم من اقتصر على الاختصار والوصف.

ولمست في كتابات الباحث التي تلت هذه الدراسة نقدا ذاتيا لهذا العمل حيث قال بأنه سعى إلى عرض تقنية جديدة في التحليل تكشف المقاصد الظاهرة والمضمرة للشاعر.

ففيما يخص الجانب النظري، هناك من ينكر المنهج التكاملي أصلا ومنهم من رأى أنه منهج متنطع يضرّ بالنص كما قرر (عبد الإله الصائغ) في كتابه " النقد الأدبي وخطاب التنظير"، ولا يخلو من العيوب لالتصاقه دائما بالإنسان الذي يتصف بالنقص مهما كان، ولذلك لم يلزم مفتاح أي أحد بالتزام منهجه هذا، وقال بأنه مجرد اجتهاد شخصي لا غير يقول: « **هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر أحدا عليه، ولا نقول يجب على أحد قبوله بكراهية** ». [1] إننا قد نقرأ في كلامه هذا شكا، ولكنه في الحقيقة تبرير منهجي لما قد ينتقد فيه، وتملص من النتائج التي يترتب عليها اتّباع منهجيته وتطبيقها على خطابات أخرى من قبل غيره.

ومن جملة المآخذ التي قيلت في منهجه، أن الناقد الذي يختار التكاملية قد يقع في الذاتية باختياراته وانتقائيته للعناصر التي ينتخبها، وقد يظن أن ما وصل إليه بتلك العناصر متكامل وكاف للإحاطة بمقاصد المبدع والخطاب، بينما قد يرى آخرون أنه غير متكامل وأن عناصر أخرى تنقصه للإحاطة بالعمل النقدي.

ولأن لكل خطاب شعري خصائصه تبعا لاختلاف التجربة الشعرية وبيئتها وسياقاتها من حيث الحقبة التي ينتمي إليها: (شعر قديم،حديث) أو كيفية كتابته (شعر عمودي،

[1] المرجع السابق، ص 05.

التفعيلة، حر...) هو أمر سيفرض عناصر تكاملية مختلفة تستدعي كل مرة إعادة النظر في اللسانيات ومناهجها، وهو أمر مرهق كما لا يخفى، عكس المنهج الأحادي الثابت والقار.

لقد وصف منهجه من طرف كثيرين، بـــ« **أن السمة الغالبة على "منهج" مفتاح هي "التوفيقية" بين ثلاثة مناهج على الأقل، وأنه غالباً ما يخرج على مقولاتها ليعود إلى التراث البلاغي العربي، فيشبعه وخزاً واستنباطاً، ثم يميل إلى التقعيد المنطقي والفلسفي** ».[1]

بينما دافع كثيرون ممن يتبنون الفكر التكاملي عن منهجية مفتاح، وأكدوا « **أن التعددية المنهجية التي دعا إليها الباحث ليست تلفيقية بقدر ما ترمي إلى وحدة في الآفاق، وفي التصور، ذلك أن مسألة التركيب هاجس عالمي، لأن السيميولوجيا ـــ في اعتقاده ـــ ليست سيميولوجيا قريماس، بل تلك النظرة التي تطبق مفاهيم بيولوجية ومفاهيم فيزيائية، ومفاهيم الذكاء الاصطناعي هي سيميولوجية تركيبية، وما هاجس التركيب إلا نموذج عالمي ينبني على توقد إبستيمولوجي** ».[2]

إن تقييمنا للمنهج التكاملي وحكمنا عليه يجب أن ينبني على سؤال جوهري وهو: هل نجح مفتاح من خلاله في الوصول إلى أهدافه المتمثلة في الكشف عن مقاصد القصيدة والشاعر؟ وهل تكفي تلك العناصر لتكوين تحليل شامل للنص؟

يشيد كثير من الباحثين بمنهج مفتاح، وأنه لا غبار عليه من حيث منطلقاته الإبسيمولوجية، وأن دراسته كانت قوية جدا في شقها النظري، وإنما المساءلة الحقيقية تقع عند مدى التزامه وتطبيقه له.

إن تدقيق النظر في الجانب التطبيقي من الدراسة نلفي فيه ضعفا كبيرا مقارنة بالجانب النظري، حيث بدأ مفتاح في تحليل القصيدة بيتا بيتا، بالوقوف على طبيعة أصواته،

---

[1] محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة، ص 59.

[2] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي : دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر، دط، 2005، ص 88.

مستخلصا وبشكل متكرّر دلالة الأصوات الحلقية (أ،هـــ،ح،..) على الحزن والزجر، فيما تأتي أصوات حروف الإطباق للدلالة على الفخامة والضخامة والرّفعة والسموّ، وأكثر من هذا يعني الاشتراك في الأصوات اشتراكا في المعاني، وكان الأجدر به أن يبدأ برصد التشاكلات في الصوت والتركيب والمعنى لرصد التناص في عموم القصيدة بانتهاج الإحصاء لا التحليل بالجزئيات، لأن هذا ما تقتضيه التكاملية.

يقول الباحث المغربي إبراهيم أسيكار معلقا على هذه الطريقة التحليلية:« **ونرى في هذه الطريقة التحليلية أولى ملامح تعثر البديل النقدي والمنهاجي الذي وعدنا به الأستاذ مفتاح، إذ سعى بهذا النهج التحليلي إلى قول كل شيء دفعة واحدة في البيت الشعري الواحد إرضاء للمستويات التي سطّرها مسبقا للخطاب الشعري عامة** ».[1]

ولا يخفى ما في هذا العمل من شطط، لأن مفتاح لم يبين للقراء من أين تستمدّ القيمة التعبيريّة للأصوات مشروعيتها، حتى وإن قال بها بعض النحويين والبلاغيين في القديم والحديث، وشحن في كتابه هذا والذي قبله عددا من هذه الآراء، بمعنى أن عددا معتبرا كذلك قد رفض هذه النظرية، وقال بعضهم: كيف يمكن للسمع أن يكون مرشدا وكاشفا عن رؤية ومقاصد الشاعر؟ ومن له الأولوية في توجيه الآخر داخل البيت الشعري والقصيدة عموما، أهو المستوى الدلالي العام أو المستوى الصوتي ؟.

ومما انتقد فيه مفتاح كذلك، حين تعرض للمستوى المعجمي لبعض الأبيات، محاولا الكشف عن كيفية تلاعب الشاعر بالكلمات، باستحضار أسماء أعلام عمد مفتاح إلى تصحيفها قصد الخروج منها بما يدعم تأويله العام للقصيدة، « **فقد أخضع الأستاذ مفتاح بعض أسماء الأعلام في القصيدة للاشتقاق، مخالفا بذلك النحاة العرب القدامى الذين رأوا أن اسم العلم اسم جامد لا صلة له بالاشتقاق ولو كان في أصله وقبل نقله إلى العلميّة اسما مشتقا. ومع هذا اشتقّ الأستاذ مفتاح من الاسم (جرهم) في البيت العاشر**

[1] إبراهيم أسيكار، الخطاب الشعري و منهجية التحليل بالمستويات عند محمد مفتاح، موقع رابطة أدباء الشام ، بتاريخ:4 أفريل 2014، الساعة 11:33، http:// odabasham. Net/ show.php ?sid=38375

من القصيدة صيغة (رجل جرهام) ومن اسم (يزدجرد) في البيت التاسع عشر من القصيدة صيغ (يزدرد) و(زجر) و(يجرّد) ومن اسم (رستم) في البيت العشرين صيغ أسماء (رسم) و(روسم) و(سمّ)..» [1]

إن كيفية التحليل التي طبقها الباحث لم توفق حسب بعضهم، ورأوا أن نهجه هذا « **نهج مسرف ومفرط، جاء لإضاءة قصيدة ابن عبدون، فإذا به يحجبها ويعتّمها بسبب تمحّل التحليل ومغالاة التأويل وتلفيقيّة المنهج** ».[2]

ومما يعاب على مفتاح من الناحية التركيبية تركيزه على قضايا « **التشاكل والتباين واللزوم والتعدي والتكرار ورتبة مكوّنات الجمل الشعرية، مع إغفال بلاغة الحذف والذكر والفصل والوصل والتعريف والتنكير والإثبات والنفي والتقديم والتأخير، فضلا عن بلاغة التنويع في الجمل الاسمية والفعلية من حيث الحجم وطرق الربط فيما بينها** ».[3] وهي المباحث التي توسع فيها عبد القاهر الجرجاني في كتابيه " دلائل الأعجاز" و " أسرار البلاغة "، ومفتاح مطلع على آرائه معتد بها فكيف تجاهل أهمية هذه المباحث و لم يوظفها في دراسته!؟

وينسحب النقد على مقصدية ابن عبدون، التي « **أخضعها الأستاذ مفتاح لمقاصد قراءته، التي لا تريد ابن عبدون إلا كاشفا عن عنف الدهر عبر استحضار تناصيّ يكون فيه صدى لمن سبقه من المؤرخين ممن أرّخو للأحداث والأساطير والحكايات الصالحة للاتعاظ وأخذ العبرة** ».[4]

كما أن اعتماده على إستراتيجية واحدة لقراءة النص يعد مجازفة، وهنا تساءل عديد النقاد: هل تكفي إستراتيجية واحدة للإحاطة بالقصيدة ومقاصدها؟ وهل التناص هو الإستراتيجية النموذجية للقراءة؟ وهل يكفي جهد علمي واحد ومقاربة متن

[1] إبراهيم أسيكار، الخطاب الشعري ومنهجية التحليل بالمستويات عند محمد مفتاح.

[2] المرجع نفسه.

[3] المرجع نفسه.

[4] المرجع نفسه.

شعري واحد لصياغة نظرية علمية كافية حول خطاب عتيد كالشعر؟ هذا ما كان على الباحث الكلام عنه.

وفي اتجاه معاكس تماما، ثمّن أصحابه هذه الدراسة وأشادوا بها، ورأوا في جهد محمد مفتاح « **محاولة سعت إلى التماس الربط، وحبك خيوط القصيدة، بإرجاعها إلى الذاتية اللغوية، والنزعة السردية القائمة على الصراع، وذلك باعتماد تفكيك النص إلى وحدات، عبر إدراك سليم لبنيته العليا (موضوع الخطاب) مما يعد شرطا ضروريا لتحليل علاقاته وضبط خواصه** » .[1] وقالوا « **أنه مؤلف يقوم على أسس لسانية وسيميائية، كما نظن أن البحث اللساني والسيميائي يحكم بنظرتين أساسيتين هما الوضعية والذاتية** ».[2]

ويرى بعضهم كذلك أن القراءة التي استخدمها مفتاح هي التي « **فرضت عليه أن يقرأ العمل بوجهين (إيجابي/ سلبي) وقد دفعته القراءة إلى المرجعية التاريخية نتيجة ما اشتملت عليه القصيدة من أحداث ووقائع، وكان من الأجدر أن يشير إلى ارتباط القصيدة بالظروف الاجتماعية والتاريخية، فالاتجاه السيميولوجي ينظر لكل شيء، ولا يجعل النص منغلقا على نفسه** ».[3]

أما الباحث الجزائري مولاي علي بوخاتم فيقول في معرض نقده وتقييمه لكتابيْ مفتاح (في سيمياء الشعر القديم) و(تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص): « **وعلى العموم فالكتابان المؤلفان خلال هذه المرحلة حلقتان نموذجيتان في خاصية الانتقال من داخل النص إلى خارجه إلى إمكانية التأويل، حيث يؤكد الكتاب الأول على مأساوية الخطاب الشعري تلفيظا في معجمه وتركيبه ودلالاته النصية، ويؤكد الكتاب الثاني أكثر على هذه المأساوية في تعالقها مع مأساوية الرؤية الشعرية** ».[4]

---

[1] تحليل الخطاب والدرس العربي: قراءة في بعض الجهود العربية، نعيمة سعدية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 04، جانفي 2009م، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

[2] عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، ص 85.

[3] المرجع نفسه، ص 131.

[4] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 92.

ومع كل الانتقادات التي وجهت له نقول: إن هذه التجربة ليست بالهينة، فقد صرح الباحث ذاته بمشقة ما عاناه فيها، والمكاسب والنجاحات التي حققها فيه لا تنكر، وأن ما فشل فيه قد يبرر، نظرا لطول القصيدة من جهة وتعقدها وحفولها بمستويات وأحداث كثيرة، فالشعر غير النثر، والآليات التي تساعد هناك قد تتأبى هنا، ومع هذه العوائق وغيرها لم ينثن الباحث، بل طوّعها بكل ما استطاع كي تفيده وتعينه على الوصول إلى الأهداف المسطرة.

وعلى كل حال، فانتهاج هذا المنهج يصعّب تصنيف جهود مفتاح في هذا التيار أو ذاك؛ ونعني بذلك أنه لا هو لساني بحت ولا هو سيميائي ولا هو تداولي، ما منحه حرية كبيرة في القراءة ـــ سيرا في اتجاه رولان بارت ـــ ويشجع أكثر على ميلاد نصوص جديدة من خلال القراءات المتعددة التي نحصل عليها باتباع منهجية مماثلة.

الفصل الثاني

بحث في المصطلح

تمهيد: إشكالية المصطلح في النقد العربي الحديث:

المصطلحات مفاتيح العلوم، وأحد المحاور الأساسية التي تدور عليها، ولطالما حظيت بالعناية الفائقة من قبل الباحثين في مختلف العلوم منذ القدم، لكننا اليوم نشهد معضلة حقيقية تمسها في ثقافتنا العربية ـــ وخاصة ميدان الأدب ـــ إذ يعرف النقد العربي الحديث عموما أزمة حادة في المصطلح، فنلاحظ في دراسات مختلفة ـــ خصوصا إذا تعلق الأمر بمعارف غربية المنبت ـــ ترجمات عديدة لمصطلح غربي واحد، ونلاحظ انقساما وتشتتا كبيرين بين الباحثين العرب في هذه القضية الحساسة، والأمثلة على ذلك عديدة، فنجد للمصطلح الأجنبي (poetics) مثلا؛ مقابلات عربية عديدة مثل: الشاعرية والشعرية وفن الشعر ونظرية الشعر والبويطيقا... [1]

وكذلك مصطلح (pragmatics) الذي نجد له مقابلات عربية من مثل: التداولية والنفعية وعلم المقاصد والمقامية والبراجمتية والبراغمتية... ومصطلح (sémiotique) الذي له مقابلات عربية مثل: السيميائية والأعراضية والرموزية وعلم العلامات وعلم الدلالات وعلم الدلالة... وهذا غيض من فيض، إذ تعاني كثير من المصطلحات النقدية من المشكلة ذاتها. وهذا يسهم ـــ ولا شك ـــ في تصعيد أزمة المصطلح التي نشهدها، لأن هذا الاجتراح لترجمات عديدة لمصطلح غربي واحد لا مسوغ له، وهو ينبئ عن قصور كبير في المترجمين، وعن عدم التمكن في اللغة التي نقل منها المصطلح وأحيانا عن سوء فهم له في ثقافته الأصلية هذا من جهة، وضعف المترجمين في اللغة والثقافة العربية من جهة ثانية.

كما أن للارتجال يدا في هذه الأزمة، إذ يعمد بعض الباحثين الذين تغلبهم النزعة الفردية إلى اختراع مصطلحات جديدة وإذاعتها في كتب وبحوث حبّا في الظهور تحت مذهب "خالف تعرف"، ولا يخفى ما تتصف به مثل هذه الأعمال من التسرع والافتقار إلى الدقة العلمية والتأصيل، ومن التركيب والصياغة الرديئة، أو عدم التعبير عن مضمونه

[1] ينظر: حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص 14 ـــ 16.

الحقيقي بحشره في زوايا ضيقة أو إطلاقه فهو فضفاض واسع يمثل أكثر مما وضع له. وكل المراكز والمؤسسات التي أنشأها العرب لتجاوز هذه الإشكاليات، بقيت مصطلحاتها حبرا على ورق، لا يعمل بها إلا قليلا.

ومن العوامل كذلك نجد، أن بعض الباحثين العرب يتزعون نزعة قومية متشددة؛ فيحبذون مصطلحات من صميم الثقافة العربية بإحيائها وتجديدها، ويطرحون سوى ذلك، فيما يحبذ آخرون ـــ خصوصا أولئك الذين نشئوا في بيئة غربية أو تأثروا بها ـــ المصطلح الغربي قلبا وقالبا؛ وحجتهم أن هذه المعارف غربية في أصلها وكذلك تكون مصطلحاتها، لذا ينبغي أن تصطبغ بما صبغه بها أصحابها، غير مراعين خصوصية الثقافة العربية، وهناك أيضا مذهب وسط بين هؤلاء وهؤلاء.

إن كون كثير من المصطلحات الأدبية النقدية اليوم غربية الأصل حقيقة لا مهرب منها، ولهذا يجب أن يكون المصطلح المستخدم مكافئا لنظيره الغربي في المبنى والمعنى سواء كان مترجما أو ناتجا عن عملية إحياء خضع لها، دقيقا ومعبرا عن الحمولة المعرفية التي شحنت به في ثقافته الأم، إلا إذا كان لذلك مسوغ علمي معرفي ينحرف به عما أريد به، فيوسع في مفهومه واستعمالاته، ونتائج التعرضُ له بالمناقشة والنقد هي الفاصل في تسويغ استخدامه وإذاعته، من عدمه.

إن هذا الاضطراب وعدم الاستقرار الذي يعرفه المصطلح النقدي العربي يعمق من اضطراب القارئ العربي ويعمل دوما على إرباكه، ويعسر عليه الإفادة من هذه المعارف بدل تيسيرها، وخلاصة القول أن مسألة المصطلح أخذت حيزا كبيرا من وقت الباحثين العرب، والذي كان ينبغي أن يشغل غيرها من القضايا والمسائل.

وإنني في هذا الطرح النقدي حاولت جاهدا الكشف عن اجتهادات محمد مفتاح في ترجمة المصطلحات والمفاهيم، والأبعاد التي أعطاها إياها ، خصوصا وكتابه " تحليل الخطاب الشعري " ظهر سنة (1985 هـــ) بعد سنوات خلت في البحث والدراسة ؛ ترجع إلى نهاية السبعينات، وهي حقبة كانت فيها النظريات اللسانية التي اعتمد عليها في

عزّ نشأتها و لم تترجم بعد إلى العربية، ولذلك س يرى القارئ أنه بذل جهودا معتبرة في ترجمتها.

والغالب في المصطلحات التي يتبناها هذا الناقد أو ذاك في الوطن العربي مبناه الشيوع رغم أنها قد لا تكون دقيقة ومؤسسة علميا، فهنا قد يتساءل أحدهم عن موقع الباحث في هذه المسألة، أي عن مدى التأصيل العلمي لمصطلحاته؟ وهل عمق من هذه الأزمة بارتجال مصطلحات جديدة لا مسوغ لها أم لا؟ هذا ما حاولت الكشف عنه هنا وبالأخص عن كيفية استيعابه لها وعن مدى تقبله لها والتصرف فيها بتغذية مفهوماتها من خلال مكتسباته العلمية والثقافية العربية.

والمتأمل في قائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها الباحث في هذا الكتاب لا يجد ذكرا لأ ي كتاب من التراث العربي ، بل كلها غربية معاصرة تتحدث عن التداولية والسيميائية والشعرية، فيكون بذلك قد اجتهد اجتهادا شخصيا في ترجمة المصطلحات من مضانها الغربية.

أولا: في مفاهيم المصطلحات.

لقد استعان الباحث في توسيع مفاهيم بعض المصطلحات بما أفرزه كل اتجاه من مصطلحات، فعمل على تجميع هذه الجهود ثم مقارنة بعضها ببعض مستعينا بما خلّفه التراث اللساني العربي من مفاهيم نقدية لم يتم تطوريها رغم طرقهم لها. فلم يتقبل الناقد بعض المفاهيم النقدية الغربية كما هي عند أصحابها، بل عمد إلى قراءة الجهود اللسانية الحديثة وما تفرع عنها من إنتاجات؛ قراءة معمقة ودقيقة، فوسّع مفاهيم عديدة مثل: التشاكل واللعب اللغوي والتناص والتفاعل... بشكل كبير، وعدّلها ليتلاءم كل عنصر مع بقية عناصر التحليل وينسجم في الإطار العام للغايات من التحليل، ويخدم المنهجية التكاملية التي اعتمد عليها.

1 ــ التشاكل:

إن التعرض للتشاكل واستحضاره هنا في هذه الدراسة راجع إلى أنه من أهم المصطلحات السيميائية التي نصل بها إلى معاني النصوص وذلك « **لما يمتلكه من قدرة على تجميع الرموز المبثوثة على امتداد نسوج النص المتوارية وإعادة تفكيكها** » .[1] ولأنه إستراتيجية تحليلية تفك العناصر الغامضة التي تنطوي عليها الخطابات ذات الطبيعة الإيحائية والرمزية، لذلك فقد شاع حاليا في الدراسات السيميائية.

وعلى الصعيد الوظيفي، فالتشاكل عامل على الانسجام الخطابي، وهذا الأخير شرط مقروئية النصوص، ولذلك يوليه مفتاح أهمية كبيرة، فاستعرض مجموعة من

[1] خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1996م، ص 170.

التعريفات والمفاهيم له عند رواد السيميائية والشعرية مثل كريماص قبل صياغة مفهوم جامع مانع له ينطلق منه في التحليل.

لقد أورد أصحاب " معجم تحليل الخطاب " مفاهيم عديدة للتشاكل باعتباره انسجاما دلاليا، وذلك عند كريماص وأغلب المنظرين، إذ التشاكل عندهم يحدد الآليات المعدلة التي تساهم في جعل ملفوظ أو نص « **مجموعة دلالة** » [1]، وتنتج هذه المجموعة ـــ قبل كل شيء ـــ عن الإعادة، على امتداد سلسلة مركبات، لصنافم [سمات دلالية سياقية] تضمن للخطاب ـــ الملفوظ انسجامه .[2]

إنه يشير « **إلى جملة الوسائل المساهمة في انسجام مقطع خطابي أو رسالة، ومثل هذا الانسجام القائم على تكرار نفس السمة على امتداد الملفوظات يتعلق خاصة بالتنظيم الدلالي للخطاب** ».[3]

لم يكن توظيف مفتاح لهذا العنصر الإجرائي اعتباطيا، إذ له فائدة تداولية، فمن وجهة نظر المتلقي « **يكوّن التشاكل شبكة قراءة تُصيّر مساحة النصّ منسجمة إذ أنها تسمح برفع الالتباسات** ». [4]

كذلك فطرق هذا المبحث يدعو للحديث عن عدم وجود التجانس الدلالي الحاضر في عديد الخطابات، الذي يرجع لسببين:

أ ـــ خلع التشاكل: عند راستيي.

ب ـــ تعدد التشاكل: الذي يحدد بأنه " توتر بين تشاكلات عديدة تحاول كل واحدة منها أن تفرض سيطرتها " كما عند جماعة (مو).[5]

---

[1] مجموعة من الباحثين، معجم تحليل الخطاب، ص 323.

[2] المرجع نفسه، ص 323.

[3] المرجع نفسه، ص 322

[4] المرجع نفسه، ص 323.

[5] المرجع نفسه، ص 323.

يمثل (خلع التشاكل) مصدر "**الملفوظات الغريبة**" حسب (راستيي) كما هو الشأن في: " ذهبت المحطة ضاحكة تبحث عن مسافر "، و في بعض الوجوه المجازية كالاستعارة. كما أن (خلع التشاكل) تكويني في عديد الأجناس الخطابية: حكايات مضحكة، كلمات متقاطعة، شعر .. ولذلك ينشئ النص الشعري إستراتيجيات متنوعة ليحمل على قراءات متعددة التشاكل كما قررته جماعة (مو): (m). [1] واختار مفتاح التناص إستراتيجية لقراءة (رائية ابن عبدون) من بين عدة إستراتيجيات تنشؤها.

بصفة عامة يمكّننا (خلع التشاكل) من قراءة جمع من النصوص، يمكن أن تُعدَّل بإجراءات " إعادة التقييم " حسب جماعة (مو).

كما لا ينظر إليه المعجم إلا على أنه التجانس الناتج عن التكرار المعمم ، لأنه حسب (راستيي) يوسع أحيانا ليشمل " إعادة أية وحدة لغوية ". وعند جماعة (مو) يمكن للتشاكل أن يمدد ليسع صعيد العبارة أي دوال الخطاب الصوتية والخطبة. هكذا يشتمل تشاكل العبارة في نظر (أريفي) على « **أشد أنواع التكرار اختلافا، على أنه بخلاف التشاكلات الدلالية الملازمة لكل الملفوظات ." تبدو تشاكلات العبارة بنيات إضافية (وقع، عروض، تورية) توجد خاصة في النصوص الأدبية** ».[2]

لقد اشتهر التشاكل عند كريماص على أنه « **مجموعة متراكمة من المقولات المعنوية (أي المقومات) التي تجعل قراءة متشاكلة للحكاية، كما نتجت عن قراءات جزئية للأقوال بعد حل إبهامها، هذا الحل نفسه موجه بالبحث عن القراءة المنسجمة** ».[3]

وينسب مفتاح كريماص بتعريفه هذا إلى الاضطراب المصطلحي؛ لأنه كما يقول عبّر عن التشاكل " بالمقولات المعنوية " وهي المقومات الأساسية التي يتبناها أصحاب اتجاه

[1] المرجع السابق، ص 323، 324.

[2] المرجع نفسه، ص 323.

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 20.

" التحليل بالمقومات ". كما يلاحظ مفتاح في قراءته لمؤلفات كريماص أن له تعريفات أخرى تلتقي مع هذا التعريف من حيث الجوهر، وإن اختلفت في بعض العبارات. كما يعتقد أنه بتعريفاته هذه للتشاكل يكون « **قد قصره على تشاكل المضمون، ولكن من جاء بعده وسعه ليشمل التعبير والمضمون معا، لكننا بعد التمعن في مختلف التعريفات الموسعة تبين لنا أنه لازال ضيقا يكتفي بالنص المنغلق الذي ليس متناسلا من غيره ...** »[1]

أما عند فرانسوا راستيي (rastier) وجماعة (مو) فيرصد الباحث عندهم وعيا بمزالق كريماص عندما قصره على تشاكل المضمون في كتابه " الدلالة البنيوية "، فيجد أن راستيي « **عممه ليشمل التعبير والمضمون، أي أن التشاكل يصبح متنوعا تنوع مكونات الخطاب، بمعنى أن هناك تشاكلا صوتيا، وتشاكلا نبريا، وإيقاعيا، وتشاكلا منطقيا وتشاكلا معنويا، ونفس هذا التوسع تبنته جماعة (m) في كتاب " بلاغة الشعر** »[2]. فراستيي يعتقد أن التشاكل ـــ بالإضافة إلى ما يحققه من ملاءمة دلالية بين الألفاظ المشاركة في ملفوظ ـــ يتسم بامتداده المتنوع (من المركب إلى النص)، وبينته غير المنظمة. إلا أن الدارس في نظرته العامة لآراء جماعة (مو) يرى فيه أن القارئ سيستغرب التناقض والاضطراب الذي وقعت فيه الجماعة وهي تنظر للشعر الذي يخرق العادات اللغوية المتوارثة.

ولتغطية الانتقادات الموجهة للتعريفات السابقة، وفي محاولة للتركيب بينها واستدراك ما فاتها وباعتبار ما يمليه تنوع الخطاب الشعري وتعقده، يقترح محمد مفتاح التعريف التالي؛ يقول: أن التشاكل هو « **تنمية لنواة معنوية سلبيا أو إيجابيا بإركام قسري أو اختياري لعناصر صوتية ومعجمية وتركيبية ومعنوية وتداولية ضمانا لانسجام الرسالة** »[3].

---

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 95.

[2] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 19، 20.

[3] المرجع نفسه، ص 25.

لقد بنى مفتاح مفهومه هذا للتشاكل على التعريفات السابقة، فأضاف لتعريفاتهم العلاقة القائمة بين المتكلم والمتلقي والنص والمتمثلة في السياق ـــ الذي يعد من أهم المفاهيم التداولية ـــ أي مراعاة مقتضى الحال. يقول شارحا غايته من هذا التوسيع:« **واضح من هذا التعريف المقترح إضافة عنصر التداول والتناص. وبهذا التوسيع تجاوزنا انسجام القول ـــ في حد ذاته ـــ إلى انسجامه مع جنسه الأدبي، ومع ثقافة الأمة التي يستقي من توطآتها مادته وصورته** ».[1] ومنه نتبين كذلك أن الباحث قد استفاد من مكتسباته في الثقافة اللسانية والبلاغية العربية التي حوت كثيرا من الجزئيات والمباحث المشابهة، مثل: الطباق والمقابلة واللف والنشر والجمع...

لقد قرأ في هذا التعريف « **بعض النقاد أبعادا أهمّها: أن التشاكل يتولد عنه تراكم تعبيري ومضموني تحتمه طبيعة اللغة، ذلك أن هناك تشاكلات زمنية ومكانية وإبستيمولوجية وإستيطيقية تعمل على تحقيق أبعاد جمالية وانفعالية، وتأثر فيه، ضمن مناخات حرّة تساعد المتقبل في أن يتفاعل مع المعنى، وفق رؤياوية تأويلية** »[2] ، ولذلك فهدف الباحث من التماس الأبعاد الجمالية للرائية غير خاف.

كما قرأ فيه حميد لحميداني وآخرون ثلاث محاور أساسية:

1 ـــ إن التشاكل تنمية لنواة معنوية: وهذا يساوي الجانب التركيبي التحويلي بشقيه: (التعبير والدلالة).

2 ـــ إركام قسري أو اختياري: وهذا يساوي جانب التناص.

3 ـــ جانب تداولي: يمكن أن نعطيه بعدا سوسيولوجيا.[3]

كما نقرأ فيه أن التشاكل يمس جميع المستويات اللسانية. لقد اشترط مفتاح عنصرين أساسيين يتحقق بهما التشاكل:

---

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 95.

[2] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 149.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ــ التكرار المعنوي لرفع إبهام القول.

ــ صحة القواعد التركيبية المنطوقة بما فيها من مساواة جمل.[1]

و لم يقف الاختلاف في مفاهيمهم له، بل تعدى ذلك إلى قضية تنميطه، إن أنماط التشاكلات تتنوع حسب المنظرين، فيميز (ميشال أريفي) بين:

أ ــ تشاكلات تعيينية صريحة في الخطاب.

ب ــ تشاكلات حافة كامنة وحاملة لمعنى خفي (كالتشاكلات الجنسية في مسرحية).[2]

أما (كريماص) و(كورتاس) فقد سجلا أنواعا ثلاثة في معجميهما هي:

أ ــ تشاكلات دلالية بحتة: (تحدد بتردد نفس المقولة المعنوية).

ب ــ تشاكلات نحوية: (ظواهر مطابقة وإعراب).

ج ــ تشاكلات فواعلية: (تكرار نفس الدور على سطح حكاية). [3]

أما بخصوص (راستيي) فهو يقيم مقابلة بين:

أ ــ التشاكلات الأجناسية المرتبطة بالحقول المعجمية المشفرة في اللسان (هذا شأن جملة مثل: أمر الأميرال نلسون بطي القلاع "، والقائمة على الإعادة المعجّمة للسمة / ملاحة).

ب ــ التشاكلات الخصوصية غير المشفرة الآتية من تكرارات دلالية خاصة بهذا الملفوظ أو ذاك، هكذا يكمن انسجام بيت آيلور " الفجر ينير المنبع " في الإعادة الخاصة لسمة / الابتداء.[1]

---

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 24.

[2] مجموعة من الباحثين، معجم تحليل الخطاب، ص 323.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أما محمد مفتاح ـــ وبتبنيه ذلك التوسيع في مفهومه ـــ فيجعل التشاكلات أنواعا ثلاثة هي:

1 ـــ تشاكل التعبير: يكون في الغالب في صورته النحوية.

2 ـــ تشاكل المعنى: يكون في المشترك الدلالي لكل من المحمول والموضوع، وهذا النوع عامل مهم على انسجام الخطاب ووحدته الدلالية.

3 ـــ تشاكل الإيقاع: وينقسم بدوره إلى:

أ ـــ تشاكل الصوت: يتجلى في القيمة التعبيرية للصوت، وهي نظرية تبناها مفتاح.

ب ـــ تشاكل الكلمة: من حيث تقاربها وتباعدها وتكرارها...

ج ـــ اللعب بالكلمة: من خلال القواعد النحوية بالاشتقاق والإبدال والتقليب والتغيير.[2]

والمغزى من هذا التقسيم الإحاطة بتداولية الخطاب الشعري المتمثل في رائية ابن عبدون في بيئتها الأندلسية الإسلامية، والإمساك بالتناص لنفهم المقصدين: مقصد الخطاب والمخاطب.

2 ـــ التناص:

والشاعر معا، فالتناص حسبه بمثابة الهواء والماء والزمان والمكان للإنسان فلا حياة له بدونها ولا عيشة له خارجهما، وهو بهذا يسير في الاتجاه الذي يعد هذه الآلية " قانون النصوص جميعا " وأن " كل نص هو تناص " بطريقة ما، ولذلك يخضعه للمساءلة العلمية. فهذا المفهوم يتداخل مع عديد المفاهيم النقدية مثل: " المثاقفة " و" الأدب المقارن " و" دراسة المصادر "و" السرقات "... لذا يتوجب تحديدها وعدم الخلط بينها.

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] ينظر: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 26ـــ 30.

لقد حاول مفتاح توسيع مفهوم التناص، ولذلك رأى أنه يجب تحديد مفهوم النص أولا، هذا الأخير الذي عرف تعريفات متعددة بحسب التوجهات العلمية التي احتضنته، خلقت اضطرابا كبيرا لدى المتلقين، فحاول التوفيق بينها، ليصل في الأخير إلى تعريفه بأنه: « **مدونة حدث كلامي ذي وظائف متعددة** » [1] موافقا بذلك تعريف (براون) و(يول) له.

يتيح تحليل هذا التعريف ملاحظة أن النص عنده له مقوِّمات جوهرية ستة، وهي: أنه (مدونة كلامية)، أي: هو مؤلَّف من الكلام، وأنه (حدث) أي: يقع في زمان ومكان مُعيَّنيْن، وأنه (تواصلي) أي: هدفه تبليغ المعلومات والأخبار ونقل التجارب إلى المتلقي، وأنه (تفاعلي): فالوظيفة التّفاعلية التي تقيم علاقات اجتماعية بين أفراد المجتمع وتحافظ عليها من أهم وظائفه، وأنه (مغلق)، أي: انغِلاق سِمَته العلامية الأيقونية التي لها بداية ونهاية، وأنه (توالدي) أي: هو مُتولّد ومتناسل من أحداث تاريخية، ونفسانية، ولغوية. [2]

والعلاقة بين تعريف النص والتناص، أن هذا الأخير مشتق من مفهوم النص ومبني أساسا على مفهومه، خصوصا المقوم الأخير المستفاد من التعريف الذي يستثمره مفتاح في تحديد المفهوم وإضفاء مشروعية يعلل بها هذه الإستراتيجية المعتمدة.

وكعادته؛ لا يقْدم محمد مفتاح على توسيع مفهوم مصطلح دون أن يتعرض لأبرز مفاهيمه السابقة عند أشهر من التصق بهم، ويرى هنا أنهم لم يصوغوا تعريفا جامعا مانعا للتناص مثل: تعريف جوليا كريستيفا له، وميشال أريفي، و جيني لورانت" laurent jenny"، وريفاتير... ولذلك يقترح أن يكون التناص هو « **تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة** » [3]. ويقصد بالتعالق دخول نصوص في علاقة مع نص ما، فقد عد النص سابقا فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة، يمتصها ويجعلها كأنها من عنده، ويجعلها كذلك منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده العامة والخاصة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 120.

[2] المصدر السابق، ص 119،120.

[3] المصدر نفسه، ص 121.

وتوسيعه لمفهوم التناص كان من خلال تحديده لآلياته ومصادره وميادينه، فيمكن الحديث حسبه عن تناص (داخلي / خارجي)، وعن آخر (ضروري / اختياري) .. ولأن كل باحث له رؤيته الخاصة في الآليات التي يتخذها التناص، فمفتاح هنا يحددها في آليتين هما: التمطيط والإيجاز.

أ ــ التمطيط: يتجلى في اللعب اللغوي عموما بما يسميه هو الأناكرام وهو (الجناس بالقلب وبالتصحيف). أو البراكرام الذي يمثل (الكلمة ــ المحور). كما يتجلى التمطيط في الشرح : فابن عبدون هنا استهل القصيدة بالبيت:

الدهر ينبع بعد العين بالأثر فما البكاء على الأشباح والصور

ثم أخذ في شرح عنف الدهر وصراع الإنسان معه.

ويتجلى كذلك في الاستعارة بأنواعها، وفي التكرار؛ من باب أن الذكرى تنفع المؤمنين، وفي الشكل الدرامي الذي أخذته القصيدة المتمثل في الصراع، وكذلك في أيقونة الكتابة.

ب ــ الإيجاز: ويتم ذلك بضرب الأمثال.

ثم أخذ يتحدث عن التناص الضروري، والتناص الاختياري مستنتجا اتفاق اللغويين على وجود نوعين من التناص:

ــ المحاكاة الساخرة (النقيضة) التي يحاول كثير من الباحثين أن يختزل التناص إليها.

ــ المحاكاة المقتدية (المعارضة) التي يمكن أن نجد في بعض الثقافات من يجعلها هي الركيزة الأساسية للتناص.[1]

ويستحضر مفتاح أيضا في تطرقه للتناص الضروري والاختياري دراسات حاولت رصد الآليات المتحكمة في الإنتاج والفهم الإبداعي؛ مثل نظرية الإطار (frame

[1] المصدر السابق، ص 122.

theory) لمنسكي، ونظرية المدونات (scripts theory)، ونظرية الحوار (scenarios theory).

أما التناص الداخلي والخارجي فيقول مفتاح في هذا الشأن « **أن الشاعر قد يمتص آثاره السابقة أو يحاورها أو يتجاوزها، فنصوصه يفسر بعضها بعضا، وتتضمن الانسجام فيما بينها أو تعكس تناقضا لديه إذا ما غير رأيه... كما أنه من المبتذل أن يقال أن الشاعر يمتص نصوص غيره أو يحاورها أو يتجاوزها بحسب المقام والمقال** ». [1]

ولفهم هذا الشكل من التناص يرى مفتاح أنه يجب وضع الأعمال الإبداعية (نص أو نصوص) المبدع في مكان ما في خريطة الثقافة التي ينتمي إليها، وتزمينها في حيز تاريخي معين، ويضرب مثلا بقصيدة ابن عبدون ـــ الشاعر الأندلسي ـــ التي سبقتها قصائد ومقطوعات عديدة في الغرض نفسه، وتقدمتها حكايات كثيرة عن الأمم البائدة، وعاصرتها أخبار تاريخية وتلتها كذلك، ولذلك يتعين قراءتها على ضوء ما تقدمها وما عاصرها وما تلاها من أجل أن نلمس ضروب الائتلاف والاختلاف بينها.

ويرى غيره أن التناصية الداخلية تكون " بين خطاب وخطابات من حقل خطابي واحد)، مثلا بين نص شعري وآخر شعري، وأن التناصية الخارجية تكون (مع خطابات من حقول خطابية مغايرة؛ مثلا بين خطاب لاهوتي وخطاب علمي)." [2]

وفي حديثه عن الصورة التي يتجلى فيها التناص أتكون في الشكل أو المضمون أو فيهما معا؟ يرى الباحث أنه يكون أكثر شيء في الجانب المضموني، وذلك « **لأننا نرى الشاعر يعيد إنتاج ما تقدمه وما عاصره من نصوص مكتوبة وغير مكتوبة " عالمة " أو " شعبية "، أو ينتقي منها صورة أو موقفا دراميا أو تعبيرا ذا قوة رمزية** ».[3] دون إهمال للشكل الذي تجلى فيه هذا المضمون، فالشكل كذلك متحكم فيه.

---

[1] المصدر السابق، ص 125.

[2] مجموعة من الباحثين، معجم تحليل الخطاب، ص 319 بتصرف.

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 129،130.

ليربط في الأخير العلاقة بين التناص والمقصدية، بالإجابة عن السؤال: كيف يكشف التناص لنا عن المقصدية؟ هذه الظاهرة اللغوية المعقدة جدا التي « **يُعتمَد في تمييزها على ثقافة المتلقي وسعة معرفته وقدرته على الترجيح** ». [1]

وعلى الرغم من هذا التعقيد الذي يلفه إلا أن هناك مؤشرات ينكشف بها اعتمادا على ما سبق، وذلك من خلال رصد التلاعب بأصوات الكلمة والتصريح بالمعارضة، واستعمال لغةٍ وسطٍ معينٍ دلالةً على تواصلٍ خاص ، ورسائل يوجهها المخاطب ضمنيا ، وقد يحيل على جنس خطابي بحاله من خلال التناص ؛ ما يؤدي إلى تشاكلات وتعدد في القراءات، ومن خلاله يح اول جلب اهتمام المتلقي وإثارته وحفزه لإعمال ذهنه، « **فالتناص إما أن يكون اعتباطيا يعتمد في دراسته على ذاكرة المتلقي وإما أن يكون واجبا يوجه المتلقي نحو مظانه** ». [2]

إن التناص ليس عبثيا؛ بل له جملة من الوظائف يختزلها مفتاح إلى:

أ ـــ مجرد موقف لاستخلاص العبرة.

ب ـــ تصفية حساب ودعوة لاستخلاص العبرة.

ج ـــ موقف التقاليد السائدة أو التوفيق بينها.[3]

ويرى في هذا الصدد أن الآثار مهما كان نوعها تقوم على دعامتين أساسيتين:

أ ـــ التوالد والتناسل، ذلك أننا نجد أثرا أدبيا أو غيره يتولد بعضه من بعض، وتقلب النواة المعنوية[4] الواحدة بطرق متعددة وفي صور مختلفة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 131.

[2] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[3] ينظر: المصدر نفسه، من ص 131إلى ص 133.

[4] النواة المعنوية، وتسمى كذلك بمركز الجذب في النظرية الكارثية السيميائية، وهي التي وقع بسببها بناء النص وعليها يتفرش ويتفرع وينمو، ينظر: محمد مفتاح، دينامية النص، ص 14.

ب ــ التواتر، أي إعادة نماذج معينة وتكرارها لارتباطها بالسنة والسلف، ولقوتها الإيحائية.[1]

كما يتجلى جهده في توسيعه استعمال المصطلح في حد ذاته، إذ اقتصر الغربيون على استخدامه لدراسة الرواية، وحتى جون فراو (j. frow) الذي تعزى إليه محاولة توسيعه سنة (1986) ليشمل نصوص أخرى، نجد أن ذلك كان بعد ظهور هذه الدراسة العربية بعام كامل.

يقترح مفتاح التناص من خلال هذه الدراسة إستراتيجية وآلية قادرة على جمع كافة مستويات الخطاب الشعري المتمثلة في: (التشاكل والتباين ــ الصوت والمعنى ــ المعجم ــ التركيب بشقيه النحوي والبلاغي). وحاول رصد المؤثرات فيها وفي صاحبها: كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية والقصائد التي انتهجت الرثاء والتدبر في الدنيا وأحوالها وحتمية الفناء والابتلاء وغيرها.

إن هذه الجهود المبذولة مع هذا المصطلح يقل وجودها في النقد العربي الحديث، وإن ألفينا دراسات كاملة في هذا المبحث، إذ لا تعدو مجرد نقول أو موازنات بين النقد العربي والغربي لا أكثر، ويثمن جهود مفتاح هذه أن الباحث الجزائري عبد الملك مرتاض لم يتخلف عن الوصول إلى نتائج مماثلة.

3 ــ أفعال الكلام:

انتهى البحث التداولي لــ(سورل) سنة 1979م بتصنيفه **لأفعال الكلام** إلى خمسة هي: (الإخبار والأمر والالتزام والتصريح والتعبير)، وهذا التصنيف قابله كثير من الباحثين بالشرح والنقاش والتحفظ، ومن هنا كان منطلق مفتاح؛ إذ تعرّض لها بالاختزال باستثمار ما دار حولها من جدل يقول: « **أننا انطلقنا ــ لاختزالها ــ من مصادرة تعني : أن النص الشعري هو بمثابة جملة واحدة آمرة وناهية ومتوجعة، وإذا ما اعترض بأنه قد يكون في**

[1] المصدر نفسه، ص 134.

النص جمل خبرية، فإنه يمكن أن يرد عليه بأن تلك الأشعار والجمل نفسها محكومة بذاتية مقدرة ». [1]

انطلاقا من هذا اختزل الباحث الأفعال الكلامية الخمسة إلى قسمين رئيسيين:

أ ــ ذاتي إنجازي: صراحة أو تقديرا، ويضم من الأفعال الكلامية: الإخبار والتعبير والالتزام والتصريح.

ب ــ تفعيلي: صراحة أو ضمنا، ويحتوي على الأمر بأنواعه والنهي بأشكاله.

ويعتمد الناقد في تقسيمه هذا على وظائف اللغة كالوظيفة التعبيرية المتفشية في كل الخطابات خصوصا الشعري منه، وعموما فالمغزى من « **هذا التقسيم الثنائي (ويمكن أن يستخلص حدا وسطا)؛ أن الشاعر إما أن يقصد إلى حث المتلقي على فعل أي شيء أو تركه، وإما أن يهدف إلى إظهار عواطفه له ونواياه تجاهه والتزامه نحوه (وإما أن يكون كلامه محايدا)، وعلى هذا فإن الذاتية والتفاعل (والحياد) هما ــ هي ــ جوهر الخطاب الشعري، ويعني كل هذا أن الأفعال الكلامية نوعان (ثلاثة أنواع):**

أحدهما يتعلق بذات قائلها لأنها صادرة منها وموجهة إليها: توجع وآهات وصرخات..وثانيهما ينصب على الآخر لخدمة الذات، (وثالثهما لا هذا ولا ذاك) ». [2]

ومن هذا المنطلق تمحور عمل مفتاح في البحث عن الأفعال الإنجازية الجامعة لتعابير وتصريحات ابن عبدون، ومن جهة أخرى عن الأفعال التي يسميها بالتفعيلية المتضمنة الأمر والنهي.

4 ــ قواعد المحادثة:

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 95. وينظر كذلك: محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 145.

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

إن قواعد المحادثة أو قوانين الخطاب التي جاء بها التداوليون مثل كرايس وسورل وغيرهما لنجاح الخطاب وانسجامه وترابطه وتأويله قد تولد عنها كثير من الشروح والمناقشات، وظهرت لها ثغرات على مستوى اللغة العادية والحوار المباشر التزيه. فكيف يمكن إذن، أن تتحكم في الخطاب الشعري الذي يخرق العرف اللغوي والواقعي؟ إذ سيكون عجزها على مستوى استعمال اللغة بكيفية أدبية أدهى وأمر. لذا يتعرض مفتاح لها بالاختزال، لأن كل مبدأ من تلك المبادئ يمكن تجاوزه والانحراف به عن هدفه لمقاصد أخرى، وبالتالي « **يمكن أن نختزل تلك المبادئ كلها إلى مبدأ وجيهٍ مكونٍ وهو مبدأ الوجاهة، فلا يتصور كلام مفيد يصدره المرسل ويتسلمه المتلقي دون اعتماد على هذا المبدأ أو على هذه المصادرة** ».[1]

واستعان مفتاح في الوصول إلى هذه الخلاصة كذلك على الممارسة وتطبيق قواعد المحادثة على نصوص شعرية، ويؤكد في الوقت ذاته « **أن كل ممارس لتحليل الخطاب الشعري يرى أنه خرق منها مبدأ الكيفية والهيأة، إذن، لم يبق منها إلا اثنان مكونان وواحد معياري، فالمكونان هما مبدآ الوجاهة والترابط، وأما المعياري فهو مبدأ الصدق، بل إن هذا المبدأ يكون أحيانا كثيرة موضع شك، بل ويمكن إدماجه في غيره، فقد يتساءل الشاعر ولا يريد جوابا، ويأمر ولا يريد الحصول على الاستجابة** ».[2]

إن مبدأ الصدق في الحقيقة هو « **قاعدة معيارية خلقية، تفرض وجود أهل الاستقامة والشرف والبلاغة في المجتمع، ولكن الناس يعلمون أن المنافقين والمخادعين والمستهزئين والشعراء والضعفاء في اللغة موجودون أيضا في المجتمع** ».[3] ولذلك لا يتبقى من مبدأ الصدق إلا صدق إحساس الشاعر، بل حتى هذا « **لا ينطبق على كثير من استعمالات اللغة "المضللة للآخر والناقلة للأخبار الخاطئة"، ومبدأ الترابط يخرقه الشعر بواسطة التشبيه والاستعارة المؤديين إلى تعدد التشاكلات، وإن كان هذا الخرق**

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص142.

[2] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 95.

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص142.

ظاهريا فقط ».[1] ويقول كذلك:« **وعلى هذا، فلا يصمد من هذا المبدأ إلا صدق القصد، و"صدق" انسجام النص، ومن هنا يمكن أن يدمج ضمن مبدأ الترابط** ».[2]

ويستعين كذلك في تأسيس هذا الاختزال كذلك على استنتاج مهم، وهو أن خرق تلك القواعد لم يغب عن ذهن كرايس نفسه، ولذلك نجده قد « **تبنى مقياس المجاز الذي يعني وُجوده خرق مبدأ الصدق، فحينما نجد مجازا أو تهكما فإن مبدأ الصدق لم يحترم** ».[3]

إن المبادئ الأخرى تبقى غامضة، خاصة باللغة العادية، ولا تنطبق على اللغة الشعرية، بل إن طبيعة الشعر مناقضة لها « **فمبدأ الإخبار أو الكمية يخرقه الشعر الذي هو عبارة عن تراكم صوتي وتركيبي ومعنوي مع احتياجه إلى حساب تأويلي لاستخلاص ما يوحي به** ».[4]

ليخلص الباحث إلى أننا لم نصل بعد إلى (مبادئ قارة) للتحكم في استعمال اللغة بكيفية ناجعة وناجحة لضبط تأويل ما نتلقاه، مقارنة بما توصل إليه اللسانيون من وضع قواعد تركيبية وصوتية.

5 ــ اللعب اللغوي:

يؤكد كثير من الباحثين أن هذا المصطلح يكتسي أهمية قصوى في فهم ثقافتنا، لأنه « **يتناول الموضوع المسمى بحصر المعنى: اللعب، والآخر: ما وراء الخطاب (méta-discours) الذي يعنى بظروف الكلام المتعلق به** ».[5] ولهذا وظفه الباحث من منطلق

---

[1] المصدر السابق، ص 143.

[2] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 95.

[3] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 142،143.

[4] المصدر نفسه، ص 143.

[5] فارغا سلطان، الألعاب في النظرية الأدبية، تر: عثمان الجبالي، كتاب المجلة العربي، عدد 401، الرياض، المملكة العربية السعودية، جمادى الآخرة 1431ه، يونيو 2010م، ص 18.

تداولي سيميائي يربط العلامة بسياقها، وهذا انسجام علمي بين المناهج يحاول الباحث إيجاده من خلال هذا المفهوم، ويمكنه من تحقيق غايات أخرى.

يدرك مفتاح أن هذا المصطلح غائب عن ثقافتنا لأنه حديث النشأة، ولذلك يعود بالبحث إلى التراث اللساني العربي باحثا عن هذا المفهوم في حد ذاته خصوصا عند البلاغيين، وهو « **الذي لا نجد له تعريفا ضابطا، فالبلاغيون العرب سموه بالمحسنات البديعية، وقد بذلوا مجهودات كبيرة في رصدها، ولكنهم اكتفوا بالتصنيف والتنقيب دون البحث عما وراء ذلك من مقاصد وحوافز، جعلت تلك المحسنات تتمظهر في أنواع مختلفة، وفي كيفيات متنوعة** ».[1]

وأما الدارسون المحدثون فيرى مفتاح أنهم قد سلموا بدور اللعب اللغوي وحاولوا كشف أسراره، لكنهم لم يعطوه تعريفا واضحا، ولذلك يقترح تعريفه بما يلي: « **اللعب بالكلام محكوم بقواعد تكوينية وتنظيمية، وهو اضطراري ــ اختياري، من قبل المتكلم تأليفا والمخاطب تأويلا** ».[2]

لكننا نجد أن "يوحنا هويتزينغا" "johann huizinga" قد أعطى تعريفا للعب، يمكن أن نستنتج منه عدة خصائص لهذا المفهوم، هي أنه « **أولا: حر: ما أن يصبح اللاعب فيه مجبرا حتى تفقد اللعبة طبيعتها.. وثانيا: منفصل: أي محصور في حدود زمنية ومكانية محددة من قبل، وثالثا: غامض (متقلب): أي أن مجرياته ونتائجه لا يمكن تحديدها بشكل مسبق، ورابعا: غير منتج؛ أي أنه لا ينتج أي منافع ولا عناصر جديدة من أي نوع، وخامسا: منظم: أي أنه يخضع لاتفاقات (ومشارطة) تعلّق القوانين العرفية وتفرض بشكل مؤقت قوانين جديدة للعبة، وسادسا خيالي: صحبَةَ وعي محدد لواقع ثان أو لحياة وهم صريحة بالنسبة للحياة العادية** ».[3]

---

[1] محمد مفتاح، النص من القراءة إلى التنظير، ص 96.

[2] المرجع نفسه، ص 96.

[3] فارغا سلطان، الألعاب في النظرية الأدبية، ص 38.

وتبعا لهذه الخصائص نجد أن مفتاح وعاها؛ فكان حرا في قراءته كما حرر كثيرا من أدواته التحليلية من قيودها السابقة، وحصر حدود لعبه الزمنية وهي حقبة بني المظفر في بيئةٍ هي الأندلس، فكان لعبه متقلبا غامضا لم يحدد نتائجها مسبقا (التوتر والاستسلام والرجاء والرهبة) و لم ينتج لعبه هذا عناصر جديدة عن المقولة العامة للقصيدة، وكان بشكل منظم خاضع لاتفاقات (التناص) مستعينا بخياله في استحضار ظروف القصيدة وبيئتها والمكنونات النفسية الداخلية لابن عبدون.

إن محمد مفتاح لم يصرح كثيرا باللعب اللغوي و لم يتعرض له بتفصيل كبير و لم يخصص له فصلا مستقلا، لكننا نلمسه من خلال عديد الإجراءات التي وظفها، فاللعب اللغوي لابد له من إستراتيجية، ولكي يحصر معنى القصيدة استقر رأيه على اتخاذ التناص وآلياته إستراتيجية لاكتشافها، ويتجلى اللعب اللغوي حسبه في هذه الرائية من خلال آلية التمطيط التي يتبعها الشاعر بواسطة ما يسميه مفتاح:

أ ــ الأناكرام: (الجناس بالقلب وبالتصحيف)، فالقلب مثل: (قول ــ لوق)،(عسل ــ لسع)... والتصحيف مثل: (نخل ــ نحل) (الزهرــ السهر)...

ب ــ البراكرام: ويتمثل في (الكلمة ــ المحور). حيث تكون أصواتها مشتتة طوال النص مكونة تراكما يثير انتباه القارئ الحصيف، وقد تكون غائبة تماما من النص لكنه يبنى عليها وقد تكون حاضرة فيه مثل كلمة الدهر في قصيدتنا هذه، وهي آلية ظنية تخمينية لا أكثر.[1]

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري إستراتيجية التناص، ص 125، 126 بتصرف.

ثانيا: في ترجمة وصياغة المصطلح:

1 ــ الشعرية (poetics):

اختار الباحث الشعرية مقابلا عربيا لمصطلح (poetics)، والشعرية « **مصدر صناعي ينحصر معناه في اتجاهين يمثل الأول (فن الشعر وأصوله التي تتبع للوصول إلى شعر يدل على شاعرية ذات تميز وحضور) ويمثل الثاني (الطاقة المتفجرة في الكلام المتميز بقدرته على الانزياح والتفرد)**».[1]

ولذلك نرى أن الباحث قد وفّق في هذه الترجمة إلى حد بعيد، فمفتاح ركز في نقده لاتجاهات لسانية أنها لا تعرف خصائص الشعر وأصوله التي تميزه عن غيره، كذلك الطاقة المتفجرة للشعر في انزياحاته المختلفة عن اللغة العادية تجعله ينضوي تحت هذا المفهوم.

إن هذه الترجمة هي الشائعة في الوطن العربي، يقول حسن ناظم: « **وقد تبنى هذه الترجمة كثير من المهتمين بقضاياها، منهم محمد الولي ومحمد العمري في ترجمتهما لكتاب جون كوهين (بنية اللغة الشعرية)، وشكري المبخوت ورجاء بن سلامة في ترجمتهما كتاب تودوروف (الشعرية)، وكاظم جهاد في بعض مقالاته، ود. عبد السلام المسدي الذي يراوح بين ترجمتين هما الإنشائية والشعرية كما ذكرت فيما سبق، وسامي سويدان في ترجمته لكتاب تودوروف (نقد النقد). كما تبنى هذا الترجمة أحمد مطلوب في بحثه (الشعرية)** ».[2]

وأما عبد الله محمد الغذامي في كتابه " الخطيئة والتكفير" (ص 19) فينتقد ترجمة المصطلح بالشعرية لأنه بذلك " **يتوجه بحركة زئبقية نافرة نحو الشعر** "، مقصيا النثر الذي يدخل كذلك في دائرة المعاني التي يغطيها، لكنه في الوقت ذاته يطرح مصطلح " الشاعرية

[1] حسن ناظم، مفاهيم الشعرية، ص 16.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

" ترجمة بديلة! وهو بهذا يذكرنا بالمثل العربي (رمتني بدائها وانسلت) إذ النقد الذي وجهه لمصطلح الشعرية ينطبق على مصطلحه أيضا.

2 ــ التناص (intertextuality):

إن لهذا المصطلح خصوصية من حيث إشكالية الترجمة والمفهوم على حد السواء، لقد ظهر في السبعينات مع جوليا كريستيفا في كتابها " ثورة اللغة الشعرية "، واشتق هذا المصطلح من لفظ (texte) الذي يقابل في العربية لفظ (نص) بكل ما يحمله من معان، لكنه يختلط مع المشتق الآخر (intertexte) الذي يترجم بالمُتَنَاصّ والتناص كذلك! أما (intertextuality) فله مقابلات عديدة مثل: التناص، التناصية، وفريق ثالث قال (النصوصية)، ورابع بـــ(تداخل النصوص)، وآخرون: التعالق والتفاعل والمثاقفة والبينصية... يقول محمد عزام: « **ومع ذلك فإن المصطلح الأول (التناص) هو الذي شاع وانتشر، بعد أن استفاض الحديث مؤخرا عن المناهج النقدية الأسلوبية والبنيوية والسيميائية...** » [1] ومنهم من يفضل تسميته بـــ (النص الغائب) مثل محمد بنيس في كتابه " الشعر المعاصر في المغرب "، ومحمد عزام يزاوج بين التسميتين في كتابه " النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي".

لكن رأى بعضهم أنه بهذه الصيغة فضفاض، وأول من انقلبت عليه كريستيفا نفسها؛ تقول « **إن هذا المصطلح التناصية الذي فهم غالبا بالمعنى المبتذل " لنقد الينابيع " في نص ما؛ نفضل عليه مصطلح التنقلية (transposition)** ».[2]

وعبد الملك مرتاض اقترح مصطلحي **تكاتب وتفاعل** في كتابه (التناص والتكاتب) بديلا له، لأن هذا حسبه أكثر خصوصية؛ حيث ينصرف إلى تأثر الكاتب بكتابات أخرى

---

[1] محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط،2001 م، ص 27.

[2] محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، الطبعة الأولى، 1998م، ص 94.

وبالتالي يكون مصطلحا أدبيا خالصا. [1] وفي قاموس السرديات يقترح المترجم ثلاث مصطلحات هي: (التناص والتفاعل والتداخل النصي). [2]

ويميز (دومنيك مانغنو) بين التناصية والتناص،« **فالتناص هو مجموع النبذ التي تم إيرادها (شواهد، تلميحات، صياغة محاكية...) في مدونة معينة، في حين أن التناصية هي نسق القواعد الضمنية الممثلة لخلفية هذا التناص وطريقة الاستشهاد التي تعتبر مشروعة في التشكيلة الخطابية ونمط أو جنس الخطاب الذي تنتمي إليه المدونة** ». [3]

وقد كتب ليون س. روديه (leon. S. roudiez) في مقدمة كتاب " الرغبة في اللغة " الذي ترجمه عن كريستيفا ناعيا ومتأسفا على سوء الفهم الذي قوبل به المصطلح؛ « **إذ ينكر جانب تأثير كاتب في كاتب وفكرة مصادر العمل، مؤكدا أن المقصود به تبادل مواقع نظم العلامات فيما بين النصوص، أي إحلال نهج أسلوبي محل نهج، وأن ذلك ما كانت كريستيفا ترمي إليه في كتابها " ثورة اللغة الشعرية " (1980م، ص 15) ويتفق بارت مع هذا التفسير** »[4].

لقد تنبه مفتاح لهذه الإضطربات في مفهومه الأصلي في ما بعد؛ ويظهر ذلك في كتابه (دينامية النص) واستعمل بدله مصطلح **(حوار)** بقسميه (حوار داخلي / حوار خارجي).

3 ــ التشاكل (isotopie):

يعود أصل المصطلح إلى الثقافة اليونانية وهو يتكون من جذرين؛ " الأول (isos) ومعناه يساوي أو مساوي، والثاني (topos) ومعناه مكان." أي المكان المتساوي، ثم

---

[1] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 135، 136 بتصرف.

[2] جيرالد برانس، قاموس السرديات، تر: سيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2003م، ص 97.

[3] مجموعة من الباحثين، معجم تحليل الخطاب، ص 318.

[4] محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، الطبعة الثالثة، 2003م، ص 48 / قسم المصطلحات.

توسع فيه ليعبر عما تشاكل وتشابه من المقومات اللسانية الظاهرة والباطنة نحويا وإيقاعيا ودلاليا.

لقد استعمل النقاد العرب المعاصرون ترجمات عديدة للمقابل الأجنبي، اصطبغت بصبغة الفردية والارتجال وكثير منها يندر استعماله.

ففريق منهم مثل سمير المرزوقي وجميل شاكر في كتابهما (مدخل إلى نظرية القصة: تحليلا وتطبيقا)، وعبد الحميد بورايو في (البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري)، اصطنعوا مصطلح (قطب دلالي) أي (إيزطوبي) ككلمة تعني التماثل، وأما الكلمة المشتقة منها فتعني التوجه نحو " قطب واحد "، أي: الاستقطاب والتمحور.

ومنهم من استعمل مصطلح " تماثل " كمصطلح موحد يدور في الشكل، على شاكلة بسّام بركة في " معجم اللسانية ".

وثالث استعمل مصطلح: " تناظر "، مثل سعيد علوش في " معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة "، وحميد لحميداني في (بنية النص السردي) وسعيد بنكراد في " مدخل إلى السيميائيات السردية".

ورابع استعمل: " إيزوطوبيا "، كأنور المرتجى في كتابه " سيميائية النص الأدبي "، وسعيد بنكراد كذلك في " مدخل إلى السيميائيات السردية"، وبالتالي لم يستقر على ترجمة واحدة.

وخامس استعمل: " وحدة الصيغة "، مثل عبد القادر الفاسي الفهري في كتابه " اللسانيات واللغة العربية ".

« **وهي مصطلحات لم يعثر عليها في الممارسة النقدية لدى الباحثين " عبد الملك مرتاض " و" محمد مفتاح** ».[1]

إن الترجمة الشائعة التي راجت في الوطن العربي هي " التشاكل ".

4 ــ مبدأ التعاون (principe de coopération):

الترجمة الغالبة والمشهورة هي " مبدأ التعاون " ولا تكاد تعرف ترجمة أخرى، لأن لفظ (coopération) يقابله في العربية: تعاون، تعاضد... وهي ألفاظ متقاربة.

وتتفرع منه مسلمات فرعية (maximes):

أ ــ (quantité): يترجمه مفتاح بـــ **مبدأ الكمية**، " ويقصد به تجنب الثرثرة عند المحادثة، وقول ما هو مفيد ليس غير"، ويترجم كذلك بـــ: مبدأ الكم، ومسلمة القدر، مبدأ الإخبارية...

ب ــ (qualité): يترجمه مفتاح بـــ **مبدأ الكيفية**، مثل أن يكون السائل يريد ــ صادقا ــ أن يعرف الجواب، وأن يجيب المسؤول بصدق. لذا يسميه آخرون قانون الصدق، والترجمة الشائعة هي مبدأ الكيف.

ج ــ (pertinence): يترجمه مفتاح بـــ **مبدأ الترابط** ، ويترجم آخرون كذلك بـــ:مبدأ المناسبة أو العلاقة، الوَجاهة،... وكلها فيها معنى السداد والصواب.

د ــ (modalité): يترجم مفتاح المقابل الفرنسي بـــ **مبدأ الهيأة** والذي يترجم عادة بـــ (مسلمة) الطريقة أو الجهة. أما رشيد بن مالك فيترجمه بـــ" جهة كيفية "، ويتفق بورايو وبنكراد على مصطلح " صيغة ".[1]

[1] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ص 150. وميلود عبيد منقور، إشكالية المصطلح النقدي: مصطلحات السيميائية السردية نموذجا، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد 104، ص 53.

5 ــ الأناكرام (Anagramme):

ويتمثل عند مفتاح في (الكلمة ــ المحور).

ويعنون به عموما أن تكون الكلمتان مكونتين من الأصوات نفسها أو الخط نفسه، وهذه الخاصية الدلالية الأسلوبية الصوتية واسعة الانتشار في الشعرية العربية الجديدة كما نراه بقوة عند محمود درويش وبدر شاكر السياب وصلاح عبد الصبور وأدونيس. وقد بلغت حدا واسعا من الشيوع عند الشعراء الجدد حتى أنها أصبحت إجراء صوتيا أسلوبيا على درجة كبيرة من الاهتمام في الشعرية العربية .

6 ــ الباراكرام (paragramme):

اسم جامع يقترحه الباحث ليعبر عن قضايا (الجناس بالقلب وبالتصحيف) وما شاكلها.

لقد وظف هذه التقنيات محاولا الكشف عن كيفية تلاعب الشاعر بالكلمات، باستحضار أسماء أعلام فأخضع بعض أسماء الأعلام في القصيدة للاشتقاق، مخالفا النحاة العرب القدامى الذين رأوا أن اسم العلم اسم جامد لا صلة له بالاشتقاق ولو كان في أصله وقبل نقله إلى العلميّة اسما مشتقا. ومع هذا اشتقّ من الاسم (جرهم) في البيت العاشر من القصيدة صيغة (رجل جرهام) ومن اسم (يزدجرد) في البيت التاسع عشر من القصيدة صيغ (يزدرد) و(زجر) و(يجرّد) ومن اسم (رستم) في البيت العشرين صيغ أسماء (رسم) و(روسم) و(سمّ)..

من خلال هذين المصطلحين نجد أن مفتاح يستعمل في هذه الدراسة المصطلح الدخيل بديلا لتغطية غياب هذه التقنيات اللسانية كاسم لا كمفهوم في التراث العربي ، ولا ينكر أي كان دور المصطلح الدخيل في إثراء اللغة العربية على مر العصور، ولكن التحفظ يبقى موجودا على استعمال مثل هذه الألفاظ ؛نظرا للثقافة الكبيرة التي يتحلى بها

[1] ينظر: ميلود عبيد منقور، إشكالية المصطلح النقدي: مصطلحات السيميائية السردية نموذجا، ص 54، مسعود وصحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص34، 35.

محمد مفتاح واطلاعه على التراث اللغوي العربي، وفي نظري كان يستحسن أن يقترح الباحث مصطلحات عربية بديلة لها مع قدرته على ذلك كما فعل مع غيرها.

7 ــ الإستراتيجية (stratégie):

يجمع الباحثون في ميدان الأدب وغيره أن لفظ إستراتيجية جاء « **من فن قيادة عمليات جيش في ميدان القتال [وهو يقابل إذ ذاك (tactique)** [1] **خطة] إلى حد أنها آلت إلى تعيين جزء من الفنون العسكرية وأمكن لها أن تكون موضوع تعليم (دروس الإستراتيجية في المدرسة الحربية). وقد انتهى بهذا المفهوم إلى اكتساب معنى أعم يفيد كل عمل يتم القيام به بصفة منسقة لبلوغ هدف ما** ». [2] لذا يتداول الناس في حياتهم تعابير من قبيل: إستراتيجية انتخابية، وأخرى تجارية، أو سياسية...

وهذا المفهوم يستعمل في فنون فكرية مختلفة مثل: نظرية الألعاب، وفي علم النفس العرفاني، وفي علم النفس الاجتماعي، وفي تحليل الخطاب... ففي نظرية الألعاب هو يطابق « **مجموعة القواعد المحددة لسلوك اللاعب في كل وضعية لعب ممكنة** ».[3]

أما في تحليل الخطاب؛ فنرصد لهذا المصطلح استعمالات متنوعة وتحديدات مختلفة باختلاف تيارات البحث. فـــ« **الكلمات، عند بعضهم، تدخل في إستراتيجيات اجتماعية وهي مؤشرات وأسلحة لإستراتيجيات الفردنة.**

وفي نظر آخرين، فالإستراتيجية هي من " شروط إنتاج " الخطاب.

وحسب وجهة نظر أخرى " تتكون هيكلة عمل لغة من فضاءين: فضاء إكراهات يتضمن المعطيات الدنيا التي ينبغي الاستجابة لها ليكون عمل اللغة صحيحا، وفضاء

[1] وكذلك يقابل في المعنى لفظ منهجية كما في معاجم الترجمة المزدوجة.

[2] مجموعة من الباحثين، معجم تحليل الخطاب، ص 532.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إستراتيجية يطابق الاختيارات الممكنة التي يتوخاها المتكلمون ليقوموا بإخراج عمل اللغة ».[1]

ومع هذه الاختلافات الظاهرة على التحديدات السابقة إلا أننا نستطيع التماس قواسم مشتركة تدلل على خواص الإستراتيجية همها كانت، وهي:

1 ــ إن الإستراتيجيات راجعة إلى ذات (فردية أو جماعية) تحمل على اختيار (عن وعي أو عن غير وعي) عدد من العمليات اللغوي.

2 ــ ليس للحديث عن الإستراتيجية من معنى إلا بالنسبة إلى إطار من الإكراهات سواء كانت قواعد أو معايير أو مواضعات.

3ــ من المفيد أن تراعى الشروط التي عبر عنها علم النفس الاجتماعي، وهي أنه لابد من غاية ووضعية انعدام لليقين ومرمى يتمثل في حل المشكل الذي يطرحه انعدام اليقين وحساب.[2]

وشرح هذا المفهوم هنا يجلي الغموض الذي يكتنف فهم الطريقة والمنهجية والخطة التي سارت بها دراسة مفتاح لتحليل رائية ابن عبدون والمتمثلة في استعمال التناص للوصول إلى مقاصد الخطاب والشاعر، وبها نفهم مغزاها ككل.

[1] المرجع نفسه، ص 533.

[2] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

ثالثا نقد وتقويم المصطلح عند محمد مفتاح:

إننا في هذا الطرح النقدي المتكون من عنصرين؛ الأول الذي خصصناه للمفاهيم، والثاني لصياغة وتوليد المصطلحات، وباعتبار الظروف التي أحاطت بالكتاب وحقبته، وأنه كان نتيجة لسنوات مضت في البحث والدراسة ترجع إلى نهاية السبعينات، حيث كانت فيها النظريات اللسانية التي اعتمد عليها في عزّ نشأتها و لم تترجم بعد إلى العربية، حاولنا الكشف عن جهود محمد مفتاح في ترجمة المصطلحات والمفاهيم وتوليدها، والأبعاد التي أعطاها إياها، من خلال عينات انتقيناها.

ولأن الشائع في النقد العربي اليوم أن غالب المصطلحات التي يتبناها هذا الناقد أو ذاك ويوظفها مبناه الشيوع، على الرغم من أنها قد لا تكون دقيقة ومؤسسة علميا، حاولت ضبط موقع محمد مفتاح في هذه المسألة الشائكة، وبين ت أنه اجتهد في تأصيل مصطلحاته، وإعطائها أبعادا علمية دقيقة، وتوليد ما كان غائبا منها عند العرب، والتوسيع والتصرف في مفاهيم بعضها، بتغذيته مفهوماتها من خلال مكتسباته العلمية والثقافية العربية والغربية المختلفة، ورأينا أن غالبية المصطلحات التي ترجمها قد وافق فيها كثيرا من الباحثين في ذات المجال، وهو الأمر الذي يخفف من أزمة المصطلح في نظري.

وبالرجوع إلى الظروف التي أنجزت فيها هذه الدراسة كذلك وما عاصرها من مشاريع ودراسات مماثلة؛ نجد أن ما حوته من جهود مصطلحية له قيمة كبيرة آنذاك في الساحة النقدية العربية لا يستهان بها. إذ تتميز المصطلحات لدى مفتاح بتنوُّع مجالاتها وتعدُّد تخصصاتها، ولعل هذا التّعدّد هو ما أَكْسبَ أعمالَه وكتاباته ومنها هذه الدراسة تَحرُّراً أكثر، وجَعلتْهُ لا ينغلق على مجال علمي واحد. وهذه الميزة أيضاً هي التي دَفعت الناسَ إلى الإقبالِ على قراءة أعماله وتتبعها، لأنهم يُحسّون بذلك التّحرر الذي لا ينقاد لاتّجاه بعينه، ولا ينصاع لمفاهيم محددة، تمنح القارئ تحررا معها.

ونلاحظ كذلك الاهتمام الكبير بالمصطلحات والمفاهيم لدى محمد مفتاح، إذ شهدت تطورا واضحا؛ فبعد أن كان يعتمد في البداية على بعض كتب التراث وبعض الكتب المترجمة كما يتّضح ذلك في كتابه "في سيمياء الشعر القديم"، وكان يكتفي بوصف

المصطلحات وصفاً علمياً أميناً دون التعمق الكبير في دلالاتها وخلفياتها، وما يرتبط بها من قضايا ومشكلات... صار الباحث يعتمد في دراساته الأخيرة على كتبٍ وبحوث أُصولها غربية، وبلغات مختلفة، خصوصا الحداثية منها، باحثاً عن الدلالات المختلفة لمصطلح ما، ومنقّباً عن قضاياه بكل عمق، ومقترحاً تسميات وتعاريف لكثير من المصطلحات وحتى وضع درجات لبعضها، وهو ما نجده في كتابه " تحليل الخطاب الشعري "، ليزيد الأمر أكثر فأكثر في كتابيه " المفاهيم معالم "، و" مشكاة المفاهيم " ، وهذا الأمر وإن كان منهجيا إذا تعلق بمفاهيم غربية لم يسبق للعرب وأن سمعوا بها؛ فإنه ليس كذلك وعديد هذه المفاهيم قد طرقها النقاد العرب، وفي كثير من كتب التراث شذرات مفرقة هنا وهناك لا ينكرها الباحث، وقد دعم بها تحليله في كتابه " في سيمياء الشعر القديم"، ومع هذا فإنني أظن أن الباحث يوظف التراث العربي بطريقة غير مباشرة لمن يتأمل أعماله، لغاية في نفسه.

والمتأمل في قائمة المصادر والمراجع العربية التي اعتمد عليها في هذا الكتاب لا يجد أثرا أي كتاب من التراث العربي بل كلها غربية معاصرة تتحدث عن التداولية والسيميائية والشعرية... فيكون بذلك اجتهد اجتهادا شخصيا في ترجمة المصطلحات من مضانها الغربية. ونرصد في مسيرة المصطلح عند محمد مفتاح تأثّرا غربيا واضحا في المفاهيم، فقد كان في بداياته خاضعا منحازاً إلى الكتابات النقدية الفرنسية، كأعمال كريماس.. ليميل بعد ذلك إلى التأثر أكثر بالكتابات الأنجلوساكسونية، خصوصا بعد رحلته العلمية وعمله بجامعة (برينستون) بالولايات المتحدة الأمريكية.

إن اختلاف تعريفات مفتاح لبعض المصطلحات في كتابه هذا عما جاء بعده؛ ناتج أساساً عن إجرائيّتها، ولا علاقة لذلك بتناقض أو تردُّدٍ في استعمال مفهوم أو مصطلح. وأحسن مثال لهذا مصطلح التناص الذي اعتمده هنا كإستراتيجية؛ فحين وظفه لدراسة ديوان "تُرجمان الأشواق" لابن عربي، عرّفه بأنه: « **استِمدادُ مُؤلّفٍ ما مِن مَخزونٍ في ذاكِرته لنَسْج نصٍّ مُعيَّن حسب أعرافِ اللغة الطّبِيعية لأهداف عامّة وخاصّة، وتأويل**

مُقترح مِن قِبَل قارئٍ فِعليّ»[1]، وحين استعمله لدراسة ديوان " مَن فعل هذا بجماجمكم؟ "، للشاعر المغربي محمد السّرغيني، عرّفه بقوله: « **نمنحُ لمفهوم " التناص " معناه المابَعد حداثي؛ أي: سنمنحهُ خواصّ اعتِراضيّة ونَقْضِيّة للثقافة وللسياسة وللسلوك، ولكن الاعتراض والانتقاض يعكسان اتِّفاقاً وتَعْضِيداً لاتّجاهات أُخرى** ».[2] ولذلك لم نطرح مسألة النقد الذاتي للباحث لمصطلحاته هنا.

ومن جملة ما لاحظناه، وننتقده فيه من حيث المفاهيم، اختزاله لوظائف التناص إلى ثلاث فقط هي: (مجرد موقف لاستخلاص العبرة ـــ تصفية حساب ودعوة لاستخلاص العبرة ـــ موقف التقاليد السائدة أو التوفيق بينها)، لأن هذا الاختزال من الباحث في نظرنا يبدو شديدا نوعا ما، فقد يوظف التناص من المبدع تدليلا منه على انتمائه مثلا وليس كما قال مفتاح فقط؛ فالشاعر العربي في المهجر اليوم يوظف نصوصا من ثقافته العربية الإسلامية كالقرآن والأحاديث النبوية وشعر وأساطير العرب، دلالة منه على انتمائه لها ولديانتها وعدم تنكره لها أو ذوبانه في مجتمعات غربية لا أكثر.

ومما يحسب له، توسيعه لاستعمال مصطلحات قبل أن تعامل بالمثل في منابعها الأصلية، من قبيل التناص الذي اقتصر الغربيون على استخدامه لدراسة الرواية، أي قبل جون فراو (j. frow) الذي تعزى إليه أول محاولة لتوسيعه سنة (1986) ليشمل نصوصا أخرى، نجد أن ذلك كان بعد ظهور هذه الدراسة العربية بعام، وهذا اعتمادا منه على ما خلفته الدراسات التراثية للشعر العربي خصوصا مبحث السرقات.

أما المصطلحات من حيث الصياغة، فالملاحظة التي خرجنا بها هي أن غالب مصطلحاته جاء بصيغ عربية خضعت للاشتقاق مثل: التناص، التفاعل... ونادرا ما كان يخرج إلى الدخيل والمعرب مثل: الأناكرام والإستراتيجية.. لغياب هذه المصطلحات

[1] رشيد سوسان، المصطلح النقدي في كتب محمد مفتاح: قضايا ونماذج،

[2] رشيد سوسان، المرجع نفسه.

الخاصة والحديثة عن الساحة النقدية العربية ، والقناعة بمثل هذه التصرفات لدى المتلقين متفاوتة باختلاف درجات ثقافاتهم ونوعية قراءاتهم للأعمال النقدية المماثلة .

خـــاتمـــــة

إن قراءتنا في كتاب (تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص) لمحمد مفتاح، والنتائج الفرعية التي رصدناها من خلاله، تعطينا فكرة كافية عن كيفية التلقي العربي لتحليل الخطاب منهجا و مصطلحا في تلك الحقبة، وتعامل الباحثين العرب مع هذا الفن الغربي، وعلى العموم فقد خرجت من هذه القراءة بعدة خلاصات غاية في الأهمية، فقد كشف لي الكتاب عن جهود كبيرة بذلت من قبل محمد مفتاح في تحليل أعقد الخطابات الأدبية والمتمثلة في الشعر، انطلاقا من مصادر الباحث التي اعتمدها وكيفية قراءته ثم منهجه ومصطلحاته.

1 ــ مصادر الباحث:

ففيما يخص مصادر الباحث ، رأيت فيها تركيزا كبيرا على الرؤى ما بعد الحداثية الغربية التي انفتح عليها مبكرا، وحماسا كبيرا لها، من قبيل الاتجاهات السيميائية والتداولية والشعرية، ومختلف البحوث اللسانية والنقدية المعاصرة، بل ومواكبة كل مستجداتها، فقراءة في المراجع التي اعتمدها كافية كي يدرك أي أحد جهودا كبيرة بُذلت في ترجمة عدد لا يستهان به من مراجع وأبحاث ذات لغة علمية عالية، صحبت تلك العملية سرعة تدل على اطلاع ودراية باللغتين الإنجليزية والفرنسية؛ وتلك السرعة لم تمنع من تحقيق قدر كبير من الإصابة والتوفيق، وتوظيفها.

كما يظهر للمتأمل في كتابنا محل الدراسة والمطلع على بحوث محمد مفتاح السابقة، عدم إهماله للتراث العربي الذي نشأ عليه وبنى عليه معارفه كما قد يظن بعضهم، صحيح أن ذلك ليس جليا هنا، لكن نظرة فاحصة في مباحث: الاستعارة والتناص، يجد تأثرا بآراء البلاغيين العرب، وفي مبحث القيمة التعبيرية للأصوات ، التي تبناها من آراء النحويين القدامى كابن جني، وقد أشرت إلى أن الباحث قد صرح بذلك في كتابه الأول " في سيمياء الشعر القديم " الذي استعان فيه بكتب عديدة من التراث العربي لإدراك خصائص القصيدة النونية لأبي البقاء الرندي الصوتية و البلاغية والدلالية على ضوء المناهج الغربية الحديثة، وما هذا الكتاب إلا امتداد وتكميل لما بدأه هناك ، مع توسيع في عناصر

المنهج بتطبيق مبدأ التكاملية بينها ومحاولة تبيين صلاحية هذه الطريقة بتطبيقها على مدونة شعرية أخرى هي رائية ابن عبدون.

2 ــ منهج الباحث:

كذلك نلاحظ في الكتاب استفادة من الجهود الغربية المختلفة التي قد يظهر لأول وهلة أنها متناقضة ولا تمت بصلة لبعضها وبالتالي لا يمكن بحال الجمع بينها في دراسة واحدة، بل والعودة إلى خلفياتها الفلسفية لتفهم مقولاتها جيدا ومساءلتها علميا، ومحاولة الإحاطة بمختلف النظريات والمصطلحات في تحليل الخطاب؛ بمعنى مناقشة الآراء الغربية وعدم التقبل التلقائي لها ــ كما يفعله بعض النقاد العرب ــ وإعادة النظر في كثير من طرائقها ومفاهيمها، كاشفا بذلك عن عيوب تتضمنها تلك الأفكار تستدعي من الناقد البصير لملمتها وسد ثغراتها، فليس كل ما يأتينا من الغرب صوابا لا ينبغي مناقشته، وقد يكون غير صالح للتطبيق أصلا في ثقافتنا العربية.

ويظهر على محمد مفتاح هنا تحليه بالاجتهاد الشخصي و عدم الانسياق وراء تيار غربي بعينه ولا التعصب لأي كان في هذا الفن الحديث مثلما قد نجده عند بعضهم، فكانوا بهذا العمل مجرد صدى للغرب لا غير ، وه ذا دليل واضح على فهمه الكبير لما يستقبل من معارف تخص تحليل الخطاب، في اهتمامه بالقضية المنهجية، وتجاوزه المنهج الأحادي المتمثل في المقولات اللسانية البنوية ــ بعد ثبوت قصوره ــ إلى التعدد المنهجي التكاملي الذي يعتمد على القراءة المركبة والمقارنة والجمع بين ثوابت النظريات.

واصطناع منهجية بهذه الشاكلة جعل طائفة من المقلدين والمحسوبين على اتجاه " نقد النقد " يسخطون عليه ويتهمونه بالتلفيق واللامنهجية، وقد يكون في هذا جانب من الصواب لو كان الباحث أول من ابتدع هذه المنهجية، ولكن سبقه جهابذة من النقاد الغربيين والعرب كما ذكرت، حين أكدوا على ضرورة اصطناع قراءة مركبة ملائمة للتحليل، تجمع مختلف المناهج والاتجاهات، بغية الوصول إلى شمولية وعمق واتساق في النتائج.

3 ــ مصطلحات الباحث:

كشفت هذه الدراسة عن جهود معتبر في صناعة المصطلحات وتأصيلها علميا، ومرد ذلك تمكنه من اللغتين الأساسيتين التي تصدر بهما المنجزات العلمية والنقدية في أوروبا والعالم وهما الإنجليزية والفرنسية، كذلك لاحتكاكه المستمر برواد تحليل الخطاب بحضور الملتقيات الدولية والرحلات العلمية والمناقشة المباشرة مع بعض أبرز أعلامه في مختلف الجامعات الأوروبية والأمريكية، وتنمية هذه الأفكار والمصطلحات بما يملكه من رصيد لغوي ونقدي عربي، ويتجلى هذا الأمر في مساءلة المصطلحات ومفاهيمها، على نحو التشاكل والتناص وأفعال الكلام (...) حيث عمد إلى التوسيع في مفاهيم بعضهما واختزال أخرى وإتمام ما كان يعتري بعضها من نقص لا يخدم الجنس الأدبي المراد تحليله هنا وهو الخطاب الشعري أو المنهجية التكاملية في حد ذاتها.

أما في جانب الصياغة والمضمون، رأيت في مصطلحاته جانبا كبيرا من الصواب؛ يحيل على تمرس في توليد الصيغ؛ وابتكار ما افتقد النقد العربي له من مصطلحات نقدية في هذه الحقبة، هذه الصيغ تطابق ما اجترحه غيره في ذات الباب، ما بعث في نفسي أملا كبيرا في المساهمة من خلال هذه الجهود في التخفيف من مشكلة تذبذب المصطلح التي يعاني منها النقد العربي الحديث.

4 ــ قيمة الدراسة وأهميتها

يعطي " كتاب تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص " لمحمد مفتاح صورة عن التلقي العربي لتحليل الخطاب، فمن خلال هذه العينة يرى القارئ الجمع بين التنظير والتطبيق، عكس ما أشيع وقيل عن الباحثين العرب بأنهم كثيرا يكتفون بالتنظير والنقد، ويعجزون عن تطبيق آرائه م على مدونة واحدة، وهنا تكمن قيمة هذه الدراسة، إذ هي رد قوي على هذه المزاعم، كما تتمثل أهمية هذه الدراسة في عدها بوابة للباحثين العرب من بعده لتشجيعهم على التحلي بالكفاءة العلمية ومساءلة المناهج والمفاهيم في ظل المنهج العلمي الموضوعي، وأخذ خصوصيات الثقافة العربية بعين الاعتبار.

كما تعد إنجازاته في تحليل الخطاب ـــ ومنها هذا الدراسة ـــ إضافة نوعية وأفقا واعدا لتكوين نظرية عربية في تحليل الخطاب.

إن حاجة النقد العربي الراهن لمثل هكذا دراسات تترع نحو التأصيل والابتكار وتكون متنوعة ومتعمقة، حاجة ماسة وملحة، فالناقد يمتلك دراية واسعة بالتراث العربي، وواع في نفس الوقت بالنظريات النقدية الغربية الحديثة، و هو بذلك يفصح للجميع عن عدم ركونه إلى الاستعارة السهلة ملمهو جاهز أو سائد مكرس، كما يفعل البعض، بل يعمد إلى التركيب الخلاق والتشييد الفعلي لعناصر نظرية ومنهجية ؛ تفيد من مختلف العلوم والفنون الإنسانية بقدر إفادتها من العلوم الدقيقة، ولهذا كله أضحت منجزاته في مجملها خير تجسيد للعمل المعرفي المنتظم الذي يؤصل للفكر النقدي الحديث.

ومقارنة سريعة بين هذه الدراسة ونظيراتها ؛ تسهم في تبيان العقبات التي لا زالت تعترض ميدان البحث في تحليل الخطاب، مثل عدم الاستقرار في المنهج نتيجة تنوع الخطاب وخصوصياته الثقافية ولجوء الباحثين في كل مرة إلى انتهاج طريقة جديدة في التحليل، وكذلك تزداد عندنا إشكالية المصطلح وتوليده، والعناية بهذه الجهود يَمكّن من استخلاص مقترحات منهجية ضمنية لتخطي هذه العقبات.

وتكمن أهمية هذه الدراسة كذلك في رصد التلقي العربي في الإضافات العديدة التي أثرى بها الساحة النقدية العربية، كالمصطلحات وكيفية القراءة والتعامل مع المصادر وطريقة المقارنة والجمع بين الآراء التي ظاهرها التناقض والاختلاف ونقدها منهجيا، ثم تقريبها للقارئ العربي بالتبسيط والتمثيل، ما جعل ذلك حافزا كبيرا لقبول مشروعه وتطويره وتطبيقه على أكثر من مدونة من قبل عديد الباحثين.

ولهذا احتلت هذه الدراسة موقعا متميزا عن دراسات أقرانه من الباحثين في ذات المجال أمثال: عبد الملك مرتاض وعبد الله محمد الغذامي وصلاح فضل ومحمد السرغيني (...) واحتضنها دراسات نقدية في بعض الجامعات العربية من خلال إنجاز بعض أطاريح التخرج حولها، كما نشرت دراسات ومقالات في صحف ومجلات متخصصة عنها في الوطن العربي، إدراكا من هؤلاء لقيمتها ولا أقل من إعطائها حقها بتشجيعها والاستفادة منها، حيث يمكننا بناء أعمال ومشاريع جديدة تكون امتدادا لها، وبهذا تتضافر جهود

السابق مع اللاحق، فتتطور المناهج والمصطلحات عندنا، وتواكب المستجدات والحاجات الإنسانية المختلفة، في تحليل الخطاب عموما، والشعر خصوصا، لأن هذا الأخير لطالما عدّه العرب ديوانهم.

وتبيت كذلك فعالية المنهج التكاملي والقراءة المركبة، وتأكيد أحقيته ونجاعته في الدراسة لشموله وعمقه وتحقيق الاتساق والتوازن والكشف عن القراءات المتعددة للخطاب كما دعت إليها جماعة من الباحثين هنا وهناك مثل رولان بارت، وإعطاء سبل كفيلة بالتوفيق بين النظريات الغربية ذات الخلفيات المتنوعة، والمبادئ المختلفة والأهداف المتباينة التي تتنازع لتحليل الخطاب وتسعى للهيمنة على أحقية التطبيق من قبل الباحثين.

وختاما لهذه الخلاصة أقول: إن تحليل الخطاب فن يتطور بسرعة هائلة، ويبني ترسانة علمية جديرة بالاهتمام، ما يستدعي دوما من الباحثين العرب مواكبة مستمرة لمستجداته هناك، وهذا ما كشفت عنه هذه الدراسة في مواكبة الباحث المغربي محمد مفتاح منجزات تحليل الخطاب في تلك الحقبة، ما يعد حافزا كبيرا على السير في ذات المروال، كما كشفت لنا هذه الدراسة عن أكاديمي متميز، ومحلل متمرس للنصوص، ومفكر يضع كل شيء موضع المساءلة والحوار، صار بفضلها علما من أعلام هذا الفن في الوطن العربي ومرجعا لكثير ممن جاء بعده، و أرجو بهذا الطرح أن أكون قد وفيت هذه الجهود حقها من الدراسة، والله ولي التوفيق.

ملاحق

الملحق الأول

فهرس المصطلحات الواردة في البحث

مسرد المصطلحات الأجنبية الواردة في البحث

(مرتبة ترتيبا ألفبائيا)

إستراتيجية التناص ..... (intertextuality stratégie)

الإستراتيجية..... (stratégie)

الأسلوبية البنوية ..... (stylistique stucturale)

الإشارة..... (indice)

الإعلانات ..... (declarations)

الأناكرام..... (Anagramme)

الانزياح..... (l'ècart)

الانفصال ..... (dislocation)

الأيقون ..... (icone)

الباراكرام..... (paragramme)

البؤرة ..... (topic)

التداولية..... (pragmatics)

التشاكل ..... (istopie)

التعليق ..... (comment)

التناص ..... (intertextuality)

التناص/ التناصية ..... (intertextuality)

التنقلية.....(transposition)

الدلالة التصريحية.....(denotation)

الدلالة لحافة .....(connotation)

السيميائية.....(sémiotique)

السيميوــ أسلوبية.....(sémio-stylistique)

الشعرية .....(poetics)

العلامة .....(signe)

اللسانيات المرنة .....(soft linguistics)

اللسانيات الصارمة .....(hard linguistics)

اللعب اللغوي.....(jaus de langue)

مقصد .....(intention)

مقصدية .....(intentionalité)

الممثلات .....(representatives)

الموجهات.....(directives)

الملزمات.....(commissives)

المعبرات .....(expressives)

المعينات، الإشاريات .....(les deixis)

ما وراء الخطاب.....(méta-discours)

مبدأ الترابط/ المناسبة /العلاقة/ الوَجاهة.....(pertinence)

مبدأ التعاون.....(principe de coopération)

مبدأ الطريقة / الجهة..... (modalité)

مبدأ الكم ..... (quantité)

مبدأ الكيف ..... (qualité)

المُتَلَصّ ..... (intertexte)

المربع السيميائي ..... (Carré sémiotique)

مسلمات فرعية..... (maximes)

المعيار ..... (la norme)

نص..... (texte)

نظرية الإطار..... (theory frame)

نظرية الحوار..... (scenarios theory)

نظرية المدونات..... (scripts theory)

الملحق الثاني

السيرة الذاتية لمحمد مفتاح

محمد مفتاح (السيرة الذاتية):

1 ــ النشأة والسيرة العلمية:

هو محمد مفتاح بن الغزواني.

باحث وناقد مغربي، ولد بمدينة الدار البيضاء المغربية عام 1942م.

نشأ في مسقط رأسه في بيئة محافظة، فحفظ القرآن الكريم في الكتّاب وحفظ متونا علمية كالآجرومية وألفية ابن مالك وتحفة ابن عاصم، وكتبا للشيخ خليل المالكي في الفقه، في سن مبكرة.

حصل على الشهادة الابتدائية عام 1960م، ثم دخل مدرسة تكوين المعلمين سنة 1961م، ثم دخل بعض معاهد وجامعات المغرب فحصل على البكالوريا عام 1963م، بعدها التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس فحصل على الإجازة في الآداب 1966، ثم حصل على شهادة الدروس الأدبية واللغوية المقارنة، ثم على دبلوم الدراسات العليا عام 1972 من كلية الآداب بفاس، لينال أخيرا شهادة دكتوراه الدولة في الآداب عام 1981 من كلية الآداب بالرباط.

وسمحت له سفرياته المتعددة إلى فرنسا وغيرها من البلدان الأوروبية ومشاركته هناك في كثير من الملتقيات الدولية وحضور محاضرات لأبرز أعلام اللسانيات والفكر الحديث، وكذلك رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية حين حصل على منحة من جامعة برينستون (princeton)، فعمّق من أبحاثه ومعارفه بعدما اشتغل مع لسانيين مشهورين في الفكر الأنجلوسكسوني مثل: إدفيش، أموري، روزان ... وغيرهم، فكان يطلع على كل مستجدات المعارف والأبحاث الغربية، ما صيّره ناقدا بارزا في الوطن العربي.

2 ــ المناصب والمهام التي يشغلها:

ــ أستاذ للدراسات الأدبية والنقدية، كلية الآداب – الرباط.

ـــ أستاذ محكم لدى عدة جامعات.

ـــ مشرف على مائدة علمية تنعقد سنوياً، خاصة بالبحث في المفاهيم والنظريات، وقد بلغت دورتها العاشرة.

ـــ عضو اللجنة العلمية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

ـــ عضو اللجنة العلمية للاعتماد والتقويم، وهي لجنة تابعة لوزارة التعليم العالي مكلفة بمراجعة البحث والدراسة فيما فوق الإجازة.

ـــ عضو هيأة تحرير مجلة كلية الآداب – الرباط.

ـــ عضو هيأة تحرير مجلة المناهل، التي تصدرها وزارة الثقافة والاتصال.

ـــ عضو المجلس التنفيذي لمركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات.

3 ـــ أهم الجوائز:

نال الأستاذ مفتاح عديد الجوائز؛ منها:

ـــ جائزة المغرب الكبرى للكتاب في الآداب والفنون 1987.

ـــ جائزة المغرب الكبرى للكتاب في الفنون والآداب عام 1994، بكتابه " التلقي والتأويل".

ـــ جائزة الدراسات الأدبية والنقد، الدورة التاسعة: 2004 – 2005.

4 ـــ أهم المؤلفات:

لمفتاح عديد المؤلفات والأبحاث، وأُنجِز حول بعض تلك المؤلفات رسائل وأطروحات جامعية، فمن الكتب التي نشرها نذكر:

- في سيمياء الشعر القديم : دراسة نظرية وتطبيقية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1982 م .
- تحليل الخطاب الشعري : إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1985 م.
- دينامية النص: تنظير وإنجاز، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987 م.
- ديوان لسان الدين بن الخطيب: تحقيق وتقديم، ط .

• مجهول البيان، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1990 م.

• التلقي والتأويل: مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1994م.

• التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1996 م.

• الخطاب الصوفي: مقاربة وظيفية، ط، 1997 م.

• المفاهيم: نحو تأويل واقعي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 1999م.

• النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط، 2000م.

• النص من القراءة إلى التنظير، دار المدارس، الدار البيضاء، المغرب، ط، 2000م.

• مشكاة المفاهيم : النقد المعرفي والمثاقفة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2000م.

• مفاهيم موسعة لنظرية شعرية: اللغة- الموسيقى- الحركة ، ط.

• الشعر وتناغم الكون: التخييل، الموسيقى، المحبة..، شركة النشر والتوزيع- المدارس، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2002م.

كما كتب أبحاثا ومقالات عديدة في عدة مجلات مشرقية ومغربية، بالإضافة إلى عقد ندوات لتدريس بعض تلك المؤلفات. فمن المقالات:

* الكتابة الصوفية، ماهيّتها و مقاصدها، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عدد 2، سنة 1977.

* ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي، أعمال ندوة: ابن رشد ومدرسته في الغرب الإسلامي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية بالرباط، سنة 1979.

* الجهاد والاتحاد في الأدب الأندلسي، مجلة عالم الفكر، المجلد 12، العدد الأول، أبريل، مايو، يونيو، سنة 1981.

وتدرّس مقتطفات من كتابه " تحليل الخطاب الشعري " لطلاب البكالوريا في المملكة المغربية.

فهرس
المصادر والمراجع

1 ــ المصادر:

1 • محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 3، 1985م.

2 ــ المراجع:

2 ــ أ ــ المعاجم والقواميس:

2 • باتريك شارودو ودومينيك مانغونو وآخرون، معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، والمركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008م.

3 • جيرالد برانس، قاموس السرديات، ترجمة سيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط 1، 2003م.

4 • لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان ناشرون، ودار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

5 • محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، القاهرة، مصر، ط 3، 2003م.

6 • نبيل راغب، موسوعة النظريات الأدبية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة، مصر، ط 1، 2003م.

2 ــ ب ــ الكتب العامة:

7 • أحمد مداس، لسانيات النص نحو منهج لتحليل الخطاب الشعري، جدارا للكتاب العالمي عمان الأردن، وعالم الكتب الحديث، إربد ، الأردن، ط 2، 1430 هـ، 2009م.

8 • حسن ناظم، مفاهيم الشعرية : دراسة مقارنة في الأصول والمنهج والمفاهيم ، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 1994م.

9 • يوسف خليف، مناهج البحث الأدبي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 1997م.

10 • مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي: دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 2005م.

11 • محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء، المغرب، ط 3، 2006م.

12 • محمد مفتاح، التشابه والاختلاف: نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996م.

13 • محمد صلاح زكي أبو حميدة، الخطاب الشعري عند محمود درويش: دراسة أسلوبية، مطبعة المقداد، غزة، فلسطين، ط 1، 1420هـ، 2000م.

14 • محمد عبد الغني سعودي، ومحسن أحمد خضيري، الأسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، مصر، دط، 1992م.

15 • محمد عزام، النص الغائب: تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2001م.

16 • محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 2003 م.

17 • محمد خير البقاعي، دراسات في النص والتناصية، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط 1، 1998م.

18 • مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب : دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى، 2005م.

19 • نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي: المبادئ والإجراء، دار بيت الحكمة، سطيف، الجزائر، ط 1، 2009م.

20 • سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 8، 1424هـ، 2003م.

21 • عبد الهادي الفضلي، أصول البحث، دار المؤرخ العربي ، بيروت، لبنان، ط 1، 1412 هـ، 1992م.

22 • عبد الملك مرتاض، التحليل السيميائي للخطاب الشعري: تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005م.

23 • عبد العزيز عتيق، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1391هـ، 1972م.

24 • عبد القادر شرشار، تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2006م.

25 • عزالدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، مصر، ط 4، دت.

26 • عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة للنشر والتوزيع، المنيا، مصر، د ط، 2003م.

27 • شوقي ضيف، البحث الأدبي طبيعته ومناهجه وأصوله ومصادره، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط7 ، دت.

28 • خيرة حمر العين، جدل الحداثة في نقد الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 1996م.

2 ــ ج ــ الكتب المترجمة:

29 • آن رابول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دغموس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ودار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

30 • إنريك أندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، تر جمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، د ط، دت.

31 • **جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة وتعليق أحمد درويش، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، دط، 1990م.**

32 • جورج يول، التداولية، ترجمة قصي عتابي، دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2003م.

33 • ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، ترجمة إحسان عباس ومحمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، دط، 1958م.

2 ــ د ــ المجلات والدوريات والمنشورات:

34 • ميلود عبيد منقور، إشكالية المصطلح النقدي: مصطلحات السيميائية السردية نموذجا، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، عدد 104، السنة السادسة، كانون الأول 2006م، 1427هـ.

35 • نعيمة سعدية، تحليل الخطاب والدرس العربي: قراءة في بعض الجهود العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 04، جانفي 2009م، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

36 • سعيد بنكراد، السيميائيات السردية مدخل نظري، منشورات الزمن، كتاب الجيب، عدد 29، الرباط، المغرب، ط1، 1999م.

37 • فارغا سلطان، الألعاب في النظرية الأدبية، تر جمة عثمان الجبالي، كتاب المجلة العربي، عدد 401، جمادى الآخرة 1431هـ، يونيو 2010م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

38 • رابح بوحوش، الشعريات والخطاب، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول في تحليل الخطاب، من 11 ـ13 مارس 2003، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

39 • رونيه ويليك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة ، عدد (110)، فبراير 1987م، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.

2 ـ هـ ـ الرسائل الجامعية:

40 • سليم أودينة، فلسفة التداوليات الصورية وأخلاقيات النقاش عند يورغن هابرماس، مذكرة ماجستير، مخطوط، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1430هـ، 2009م.

2 ـ و ـ المواقع الإلكترونية:

41 • إبراهيم أسيكار، الخطاب الشعري ومستويات التحليل بالمستويات عند محمد مفتاح، موقع رابطة أدباء الشام ، www.odabasham.net بتاريخ: 4 أفريل 2014.

42 • رشيد سوسان، المصطاح النقدي في كتب محمد مفتاح، موقع وجدة سيتي، www.oujdacity.net/regional بتاريخ 13 ماي 2014.

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

مدخل: واقع تحليل الخطاب الشعري في القرن العشرين..... 6

1 ــ تمهيد 7

2 ــ مفهوم تحليل الخطاب 8

3 ــ واقع تحليل الخطاب الشعري في النقد الغربي الحديث..... 12

4 ــ واقع تحليل الخطاب الشعري في النقد العربي الحديث..... 14

5 ــ تحليل الخطاب الشعري ومناهج ما بعد الحداثة..... 18

الفصل الأول بحث في المنهج..... 21 ــ 69

أولا: تمهيد..... 22

ثانيا: تعريف وتأصيل المنهج التكاملي..... 24

ثالثا: مميزات المنهج التكاملي وأهميته (العمق الشمول التوازن والاتساق) 31

رابعا: أركان المنهج التكاملي عند محمد مفتاح..... 35

1 ــ التيار التداولي..... 35

2 ــ التيار السيميائي..... 44

3 ــ التيار الشعري..... 48

خامسا: أسباب اختيار المنهج التكاملي..... 56

سادسا: نقد وتقييم المنهج التكاملي عند محمد مفتاح..... 63

الفصل الثاني: بحث في المصطلح..... 69 ــ 101

تمهيد: إشكالية المصطلح في النقد العربي المعاصر..... 70

أولا: في مفاهيم المصطلحات عند محمد مفتاح..... 73
1 ــ التشاكل..... 73
2 ــ التناص..... 79
3 ــ أفعال الكلام.....84
4 ــ قواعد المحادثة.....85
5 ــ اللعب اللغوي..... 87
ثانيا: في صياغة وتوليد المصطلحات..... 90
1 ــ الشعرية..... 90
2 ــ التناص 91
3 ــ التشاكل 92
4 ــ مبدأ التعاون 94
5 ــ الأناكرام 95
6 ــ الباراكرام 95
7 ــ الإستراتيجية 96
ثالثا: نقد وتقييم المصطلح عند مفتاح..... 98
خاتمة..... 103
ملاحق 108
الملحق الأول: فهرس المصطلحات..... 110
الملحق الثاني: السيرة الذاتية محمد مفتاح..... 114
فهرس الموضوعات..... 122

ملخص:

يعد تحليل الخطاب فنا حديثا في حقل الدراسات الأدبية والنقدية، الذي سرعان ما انتقل من النقد في الغرب إلى الساحة الأدبية والنقدية العربية بفعل حركة المثاقفة والعولمة، وقدم على ضوئه باحثون عرب نماذج نظرية وتطبيقية؛ منهم الباحث المغربي **محمد مفتاح** على شاكلة كتابه المعنون بـــ " تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص "، وهذا الأخير جعلته محور هذه الدراسة التي جمعت بين التنظير والتطبيق، واخترت قضيتين حساستين في تحليل الخطاب هما " المنهج " و"المصطلح " لدراستهما ورصدهما في هذا الكتاب، ثم التدليل بهما على كيفية التلقي العربي لهذا الفن الحديث.

ففي قضية المنهج والمصطلح يطرح الباحث بديلا منهجيا في ظل ما وصلت إليه البحوث النقدية في الغرب، مطعما بما خلفه التراث اللغوي والنقدي العربي، ويتمثل هذا البديل في المنهج التكاملي الذي يمتح من نظريات لسانية وأدبية ما بعد حداثية مختلفة هي السيميائية والتداولية والشعرية عناصر معرفية يعتقد أنها الأنسب لتحليل الخطابات الأدبية والوصول إلى المقاصد المختلفة لأصحابها، والدافع إلى هذا التوجه المنهجي القصور الذي يعتري استعمال منهج واحد في إدراك هذه الغاية.

أما في قضية المصطلح فحاولت قدر الإمكان دراسة المفاهيم التي قدمها ممد مفتاح في كتابه، حيث أعاد الباحث النظر في المفاهيم التي اختارها لتشكل المنهج التكاملي النموذجي في التحليل، كما تعرضت لمسألة صياغته وتوليده للمصطلحات، لأن كثيرا من النظريات التي اعتمدها أفرزت لنا مصطلحات جديدة لا يملكها النقد العربي، ورأيت سعيا حثيثا منه لترجمتها وصياغتها على أحسن وجه، مراعيا التأصيل العلمي والإبستيمولوجي لها.

وقدمت في هذه الدراسة نقدا وتقييما لكل من قضيتي المنهج والمصطلح عند الباحث، فبينت محاسن الدراسة، وثمنت الرؤية الاجتهادية التي طرحها للبحث والمناقشة، وبينت العيوب التي شابتها في بعض النواحي، والاعتذار للباحث بما توفر لدي من علم، والله الموفق للسداد.

Résumé:

L'analyse du discours est un nouveau Art dans le domaine études littéraires et critique, qui se sont rapidement déplacés de la critique dans l'ouest de la scène littéraire, et par les mouvements de trésorerie acculturation arabe et la mondialisation, Présenté à la lumière des savants arabes modèles théoriques et pratiques; eux chercheur marocain **Mohammad mafteh** long des lignes de son livre intitulé «la poétique analyse du discours: stratégie intertextualité», et ce dernier lui l'objet de cette étude, qui ont été recueillies entre la théorie et l'application fait.

J'ai choisi deux Hsesten dans l'analyse du discours sont «l'Approche» et «terme» pour leur étude et de les surveiller dans ce livre, et démontrent eux sur la façon de recevoir cet art moderne arabe. Dans le cas du programme d'études et la durée pose un substitut chercheur systématiquement sous-la recherche de pointe en espèces dans l'Ouest, y compris un patrimoine linguistique restaurant successeur et monétaire arabe.

L'alternative à cette approche intégrative Au théories de la linguistique et de la sémiotique littéraire postmoderne est différent et délibérative et éléments poétiques de la connaissance est considérée comme la plus appropriée pour l'analyse des discours littéraires et l'accès aux différents objectifs de leurs propriétaires respectifs, La motivation de cette approche utilisation insuffisantes systématique d'une approche unique pour atteindre cet objectif. Dans le cas du terme, j'ai essayé autant que possible l'étude des concepts présentés par mefteh Mohamed dans son livre, où le chercheur réexaminer les concepts qui sont choisis pour former le modèle de programme intégré dans l'analyse,
, Est également venu à la question de la rédaction et les termes générés, parce que beaucoup de théories que nous avons adoptées produit de nouveaux termes ne sont pas la propriété de l'monétaire arabe, et je l'ai vu chercher activement à traduire et formulé mieux, en tenant compte des progrès scientifiques et l'enracinement ipstimologi.

Présenté dans cette étude en espèces et une évaluation de chacun des cas du programme d'études et la durée quand un chercheur, elle a déclaré que les vertus de l'étude, a salué la vision put discrétionnaire à la discussion et le débat, et a montré les défauts qui ont entaché, à certains égards, et en s'excusant au chercheur, y compris la disponibilité que j'ai appris, et que Dieu bénisse pour le remboursement.